

## الفصل الثاني: الملل والنحل في ميزان سياسة الإخوان:-

### المبحث الأول: ملامح عقيدة الولاء والبراء عند الإخوان:-

#### المطلب الأول:ولاء الإخوان لأفراد جماعتهم دون غيرهم من المسلمين:-

من المعلوم أن ولاءهم ومعاملتهم مع الناس مبنية على دخولهم الجماعة فمن كان في تنظيمهم فهو: المقرب وهو الملتزم وهو الأخ وهو الشيخ وهو وهو.

ومن لم يكن في تنظيمهم ولم يدخله، وكان مؤيدا لفكرتهم فهو المؤازر، وهو المتعاطف والمتعاون.

ومن لم يكن في تنظيمهم، وكان من المتبعين للدليل من الكتاب والسنة الصحيحة بفهم سلف الأمة، من صحابة نبينا محمد ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فهو المكفر والمبدع والحكومي والمرسل من الأمن والجاهل بالواقع، والمفرق ولذلك فرق العلماء بينهم وبين أهل الحق بأن أهل الحق ولاؤهم لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين أما جماعة الإخوان فولأؤها لله ولرسوله ﷺ وللمنتظم في حزب الإخوان المسلمين.

قال محمد الغزالي: (إن الأمة التي تغير حكامها كما تغير المرأة أزياءها؛ لا يصلح لها حال، ولا تبقى لها ربح.

وإنني لأمقت أن أكون داعية لحاكم ما، وأستعيز بالله من أن أعين بكلمة على بقاء والٍ جائر، غاية ما أبغي أن أشرح قانون السمع والطاعة، وأن أمنع الكهان والدجالين من الاحتيال به على ناشئة قليلة الفقه في الإسلام، إن تغيير حاكم شيء، والانصراف عن واعظ غير موفق شيء آخر.

لقد كان الراسخون في العلم يدعون إلى الله ويتجردون للدعوة، فكان الناس يرون طاعتهم من طاعة الله؛ لأنهم تلقوا دروس معرفته عنهم.

ثم جاء الراسخون في الجهل يطلبون حقوق القيادة، ويتحدثون عن قانون السمع والطاعة، ولست أعنف دعيا من هؤلاء على مزاعمه ومطالبه، فالأمر كما قيل: بعض الناس طغاة؛ لأننا نركع لهم.

ولقد رأيت جمعا غفيرا من شباب الإخوان المسلمين ينظرون إلى (مرشدهم) نظرة يجب أن تدرس وأن تحذر.

وقال أحدهم في اجتماع ضخم للهيئة التأسيسية: إن المرشد لا يخطئ، وكان بهذه القولة العجيبة يريد أن يخذلني وأنا أعارض المرشد في بعض تصرفه، وقد خذلت فعلا، ومزقت ملابس الرجل الذي وقف يناصري.

ومع أن كلمة: (المرشد لا يخطئ) وجدت امتعاضا من أغلب الأعضاء؛ إلا أنه امتعاض المذنب عندما يواجه بجريرة لا يجد منها فكاكا، ويكره أن تلصق به؛ لظهور معرفتها.

والقوم يخلطون بين توقيير القائد وتوفير المهابة له، وبين الخنوع لرأيه والمسارة في هواه. إن أول ما نشب الخلاف بيننا وبين الأستاذ الهضيبي كان على أسلوب الحكم في مصر؛ هل تكفل الحريات العامة، ويصان الدستور القائم، وتنقذ البلاد من استبداد فرد أو أفراد؟ أم نتجاهل هذا الموضوع كله، ونطوي حكم الإسلام فيه، وتشغل جماعة الإخوان بشئون أخرى؟ كان الرجل شديد الحرص على مرضاة رجال القصر، قليل الاكتراث بحقوق الأفراد والطوائف، وقد ألفت كتابي (الإسلام والاستبداد السياسي) استنكارا لهذه السياسة القاصرة، ودفاعا عن تعاليم الإسلام الصحيحة.

ولعل الهضيبي ومن معه عرفوا الآن الحق الذي خاصمناهم عليه وكرهونا من أجله. قال لي ذات يوم واحد من أقرب رجال المرشد إليه: إن الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدعوة، ألا ترى أن الله ضم الإيمان بالرسول ﷺ إلى الإيمان بذاته ﷻ ذلك لأن المظهر العملي للطاعة والأسوة هو إتباع القائد إتباعاً مطلقاً!

ثم استدرك محدثي يقول: لا أعني بهذا أن أسوي بين المرشد والرسول في حقيقة الطاعة، إنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو الرجل الذي يحمل راية الدعوة، أنا أضرب مثلاً فحسب!

وبمثل هذا الأسلوب رسم مجرى المعاملة بين الإخوان والجماعة، فلما استغربناه وتأبيناه عليه، ورأينا أنفسنا نبصر الحقائق القريبة والرجل لا يحسها، ونعامله مخطئاً أو مصيباً غير مقرين هذه الهالة التي أضفها الأغرار عليه؛ مقتنا الرجل أشد المقت، مقتنا كما يمقت الكفار والفساق!

ثم سار بمن معه يتفحم العشرات والمزالق، لا يلوي على شيء ولا يلام على شيء<sup>(١)</sup>. إن هذا الوصف الذي نطق به محمد الغزالي، الذي عاش في الصفوف الأولى في المركز العام لحركة الإخوان المسلمين؛ هو دليل قاطع على ما قدمنا.

قال العلامة الألباني (رحمه الله): (ولم يمض وقت طويل إلا وبدأ الشباب الإخوان (يتجاوبون) مع الدعوة بصورة ليست غريبة عندي ولكننا وجدنا موقفا غريبا جداً أولاً: لأننا مسلمون جميعاً، وثانياً: قلبوا لنا ظهر المنحة فبينما كانوا يدعوننا لإلقاء المحاضرات هناك إذا بهم

(١) من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، ص (٢٠٦ - ٢١٣).

يصدون أفرادهم عنا صدودا وعجبت من هذه المفاجآت حينما أرسلو إلى إخوانهم ممن كانوا في صفوف الجماعة يذكروهم ويطلبون منهم أن يمتنعوا عن التردد على دروس الشيخ الألباني، وجرى نقاش طويل بينهم فقالوا: يا جماعة لا ندري لم هذا الموقف من الشيخ الذي يصرح بأنه لا يدعو للتحزب والتكتل كل ما فيه هو أن عنده بعض المعلومات يريد أن ينشرها بين الناس، لماذا تفصلونا وتبعدونا عن حضور حلقات هذا الرجل ونحن قد أمضينا معه أكثر من سنتين أو ثلاث، وشعرنا بالفرق بين الذي كنا عليه والآن من المعرفة، فلماذا هذه المعاداة؟! فكان جوابهم لا يجوز الجمع بين ولائين، إما: الإخوان أو الشيخ وكانت النتيجة أن تم فصلهم لما قيل لبعضهم أنت رجل مسلم متخلق بأخلاق الإسلام كيف تفعل ذلك قال: إن هذا قرار القيادة ويجب أن نخضع له<sup>(١)</sup>

فالإخوان يحذرون بل ويشنعون ويتهمون ويكرهون من يحذر أو يذكر أخطاءهم ولنأخذ مثالا وهو الشيخ ربيع بن هادي المدخلي يكره هؤلاء كرها شديدا ويحذرون الناس منه ومن كتبه تحذيرا شديدا لجرد أنه تتبع بعض أخطاء المخطئين وبين فوادحهم وطوامهم في أمر العقيدة كسيد قطب وعبد الرحمن عبد الخالق.

قال العلامة ابن باز (رحمه الله): الشيخ ربيع من علماء السنة، وقال العلامة الألباني (رحمه الله): حامل لواء الجرح والتعديل، وقال العلامة ابن عثيمين (رحمه الله): ربيع من علماء السنة ومن أهل الخير وعقيدته سليمة ومنهجه قويم، ولكن لما كان يتكلم على بعض الرموز عند بعض الناس من المتأخرين وصموه بهذه العيوب).

أقول: مع ذلك تجد هؤلاء لا يقيمون لهذه التزكيات وزنا؛ لأن الأوامر صدرت بحصار كتبه حتى لا تؤثر على التربية التي سعوا لها سنين طويلة فكيف بمن هو دون هذين الشيخين مكانة وشهرة؟

يقول صاحب مذكرة (الإخوان المسلمين في المملكة والخليج سماتهم ومواقفهم):

السمة العاشرة: (مفهوم الولاء والبراء عند الإخوان مربوط بالجماعة فاحبة والنصرة والشفاعة والمناصب للإخوان وأما غيرهم فليس له إلا الجفاء والإعراض بل التحذير منه إن كان سنيا سلفيا، حتى الصدقات التي يجمعها الإخوان تدفع للفقراء بانتقاء)

وقال في السمة الثلاثين: (من خطط الإخوان تنفير الناس من غيرهم لتخلوا الساحة الدعوية لهم ومن ذلك وصفهم لدعاة السنة المنتسبين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بأنهم حشوية، غثائية، مرجئة الحكام، جامية، مدهنون، مدخلية، عملاء، فقهاء حيض ونفاس... إلخ قال سلفنا

(١) الطريق إلى الجماعة الأم، ص (١٧٩).

الصالح من علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر).

وتصدر حركة الإخوان المسلمين بين الفينة والأخرى قائمة سوداء بين دفتيها تعاليم وأوامر تحذر الفرد الإخواني الاتصال ببعض العلماء المسلمين أو الجلوس معهم، أو سماع محاضراتهم، أو قراءة كتبهم؛ لأنهم في تصور قادة الإخوان المسلمين يضرون بالجماعة، فهم يحملون أفكارا غير فكر الإخوان ولئن سألتهم لم هذا؟ قالوا: لمنع الازدواجية في الولاء، فإما الولاء للجماعة، وإما التجميد والمقاطعة والالتزامات!

فلا تندعش أخي الحبيب مما تقرأ، فمن ذلك القرار الجائر الذي صدر عن جماعة الإخوان المسلمين بمقاطعة دروس ومحاضرات احدث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله رحمة واسعة، وطاعة كهذه تنهى عن مصاحبة العلماء وحضور دروس العلم هو ولاء ينقصه الكثير من الرشد. قال الله U ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) )<sup>(١)</sup>

### المطلب الثاني: ولاء الإخوان لأهل الكفر والضلال والزيف:-

الناظر في كتابات الإخوان يجد أن هناك خلطا في مفهوم الولاء والبراء. قال حسن البنا: (وليست حركة الإخوان موجهة ضد عقيدة من العقائد، أو دين من الأديان، أو طائفة من الطوائف، ولا يكره الإخوان المسلمون الأجانب النزلاء في البلاد العربية والإسلامية، ولا يضمرون لهم سوءا، حتى اليهود المواطنين لم يكن بيننا وبينهم إلا العلائق الطيبة)<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة ابن باز (رحمه الله): فيمن يقول: (إن خصومتنا مع اليهود ليست دينية وقد حث القرآن على مصافاتهم ومصادقتهم).

(هذه مقالة خبيثة، اليهود من أعدى الناس للمؤمنين، هم أشد الناس عداوة للمؤمنين من الكفار كما قال الله U ( لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسْيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) )<sup>(٣)</sup>، فاليهود والوثنيون هم أشد الناس عداوة للمؤمنين وهذه المقالة مقالة خاطئة ظالمة قبيحة منكرة)<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٢) القطبية هي الفتنة فاعرفوها، ص(٥٥)، وبحث عن جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين، لمحمد البيهجي، ص(١٤).

(٣) سورة المائدة، الآية (٨٢).

(٤) ينظر: كتاب العواصم والأجوبة السلفية، ص (٤٨).

قال الشيخ صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء (حفظه الله): فيمن يقول: (إن خصومتنا مع اليهود ليست دينية وقد حث القرآن على مصافقتهم ومصادقتهم)، (هذا الكلام فيه خلط وتضليل، اليهود كفار وقد كفرهم الله U ولعنهم، قال الله U (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)) (١)، فعداوتنا لهم دينية، ولا يجوز لنا مصادقتهم، ولا محابتهم؛ لأن القرآن الكريم نهانا عن ذلك).  
وقول حسن البنا: (إن الإخوان لا يكرهون أحدا وحتى اليهود)، فأين البغض في الله الذي يجب ألا يخلو منه قلب مسلم؟ وإذا لم نبغض اليهود فمن نبغض إذا؟!.

والحاصل أن الولاء والبراء صار واضحا عند أفراد هذه الجماعة، وكذلك ترك الغيرة على العقيدة والتحمس صار واضحا لا شك فيه، بحيث يتم تقريب من كان في صف الجماعة ولو كان فاسد العقيدة، ويتم إبعاد من كان خارج صفوفهم، ولو كان من أشد أنصار عقيدة السلف.

قال جاسم بن مهمل الياسين: وهو من شيوخ جماعة الإخوان:  
(بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بخطتهم ونظامهم، ولو كان أروع الدعاة فهما للإسلام وعقيدته، وأكثرهم قراءة للكتب ومن أشد المسلمين حماسة وأخشعهم للصلاة) (٢).

رحم الله شيخ الإسلام بن تيمية إذ قال: عن العلماء المربين:  
(وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدا بموافقته في كل ما يريده، وموالاته من يواليه ومعاداة من يعاديه، بل هذا من جنس فعل جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقا ولينا، ومن خالفهم عدوا بغضاً) (٣).

وقال أيضاً (رحمه الله): (والواجب عليهم أن يكونوا يدا واحدة مع الحق على المبتل، فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله) (٤).

### المطلب الثالث: تطاول الإخوان على الصحابة والسلف الصالح:-

تطاول الإخوان على بعض أصحاب النبي ﷺ وذلك أن ما كتبه سيد قطب عن عثمان بن عفان t لتشتمز منه الأنفس والأبدان، وتنفر منه العقول والطبائع السليمة.  
قال سيد قطب: (خلافة عثمان فجوة بين خلافة الشيخين وعلي y) (٥)

(١) سورة المائدة الآية ٧٨.

(٢) ينظر: للدعاة فقط، ص (١٢٢) لجاسم المهمل، وهذا الكتاب رد عليه أحمد العجمي.

(٣) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (١٦/٢٨).

(٤) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (١٧/٢٨).

(٥) ينظر: العدالة الاجتماعية، الطبعة الخامسة، ص (٢٠٦).

وقال أيضا: (تخطمت أسس الإسلام في عهد عثمان t)، وقال أيضا: قتلة عثمان<sup>(١)</sup>: (إنهم يحملون روح الإسلام)<sup>(٢)</sup>، وقال أيضا: عن معاوية وعمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: وحين يركن معاوية وزميله عمرو إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق وشراء الذمم لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل<sup>(٣)</sup>.

فانضم بذلك إلى الحاقدين على سيدنا عثمان t من المنحرفين والشيعية والمستشرقين على الطعن فيه t وعللوا ذلك بشبهات واهية منها أنه استعمل كثيرا من أقاربه في بعض الولايات التابعة للدولة الإسلامية التي تحت قيادته، موليا بذلك وجهه عن المهاجرين والأنصار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): ردا على هذا الطعن: (إذا كان كذلك ظهرت حجة عثمان، فإن عثمان يقول: إن بني أمية كان رسول الله يستعملهم في حياته واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة، فيهم أبو بكر الصديق t، وعمر t ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بني عبد شمس؛ لأنهم كانوا كثيرين وكان فيهم شرف وسؤدد)<sup>(٤)</sup>. فاستعمل النبي ﷺ في عزة الإسلام على أفضل الأرض مكة عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب بن أمية واستعمل أيضا خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بني مذحج، وعلى صنعاء اليمن فلم يزل عليها حتى مات رسول الله ﷺ، واستعمل عثمان بن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عرينة واستعمل أبان بن سعيد بن العاص على بعض السرايا ثم استعمله على البحرين<sup>(٥)</sup>.

وكذا استعمل أبو بكر t من بني أمية يزيد بن أبي سفيان بن حرب في فتوح الشام، وأقره عمر t ثم ولي عمر t بعده أخاه معاوية t وهذا النقل عن النبي ﷺ في استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الخليفة عثمان بن عفان t هو ثالث الخلفاء الراشدين: ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين، أبو عبد الله، ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح، وكان ربعة حسن الوجه رقيق البشرة لقب بذئ النورين، بشره الرسول بالجنة وعده من أهلها؛ وقد مارس الولاية على أساس ضابطة العدل بين المسلمين، ومع ذلك فقد اجتمع الحاقدون على سيدنا عثمان t من المنحرفين والشيعية والمستشرقين على الطعن فيه t وعللوا ذلك بشبهات واهية منها أنه استعمل كثيرا من أقاربه في بعض الولايات التابعة للدولة الإسلامية التي تحت قيادته، موليا بذلك وجهه عن المهاجرين والأنصار.

ينظر: تاريخ العرب العام لسيد بيومي، ص(١١٠)، ومعاوية أمام محكمة الجزاء الحمدي العربي الشيخ، ص(٣٦)، علي بن أبي طالب t لعبد الفتاح عبد المقصود (٣٢/٢).

(٢) ينظر: العدالة الاجتماعية، ص(١٨٩).

(٣) ينظر: البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص(٤٨).

(٤) ينظر: منهاج السنة النبوية (١٩٢/٦).

(٥) منهاج السنة النبوية (١٩١/٦، ١٩٢).

(٦) منهاج السنة النبوية (١٩٢/٦، ١٩٣).

كما استعمل عمر t أيضا الوليد بن عقبة على ربيعة<sup>(١)</sup> بالجزيرة<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا فلا ينتقص على عثمان t استعماله إياهم؛ لأنه في هذا العمل اقتدى برسول الله ﷺ وبأصحابه الكرام من أقرب الأصحاب إليه - أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - في هذا الشأن وما هذا إلا لوضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وهذه سياسة يمدح عليها سيدنا عثمان t لا أن تكون مادة للطعن.

#### المطلب الرابع: تطاول الإخوان على العلماء:-

ذهب الإخوان يغوصون في أحوال السب والشتم والتجريح، بشتى الوسائل المتاحة، فيقطعون فيهم وهم لا يشعرون أنهم قد ركبوا متن الشطط، ووقعوا في أقبح الغلط؛ لأن حرمة العلماء مضاعفة، وحقوقهم متعددة فلهم كل ما ثبت من حقوق المسلم على أخيه المسلم، ولهم حقوق المسنين والأكابر، ولهم حقوق حملة القرآن العظيم، وسنة نبيه الكريم ﷺ، ولهم حقوق العلماء العاملين، والأولياء الصالحين قال الله ﷻ U في الحديث القدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)<sup>(٣)</sup>

قال سلمان العودة: في حق هيئة كبار العلماء في شريطه (وقفات مع إمام دار الهجرة): في بلاد العالم الإسلامي اليوم جهات كثيرة جداً لم يبق لها من أمر الدين - وقد تكون مسئولة عن الفتيا (أحيانا) أو عن الشئون الإسلامية • لم يبق لها إلا أن تعلن عن دخول شهر رمضان أو خروجه<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضا: في حوار أجرته معه مجلة (الإصلاح) الإماراتية: (الأحداث التي حدثت في الخليج لم تزد على أنها كشفت النقاب عن علل وأدواء خفية، كان المسلمون يعانون منها، وأكدت على أنهم ليسوا على مستوى مواجهة مثل هذه الأحداث الكبيرة، وكشفت كذلك عن عدم وجود مرجعية علمية صحيحة وموثوقة للمسلمين، بحيث إنها تحصر نطاق الخلاف، وتستطيع أن تقدم لهم حلا جاهزا صحيحا، وتحليلا، ناضجا)<sup>(٥)</sup> ومن ذلك أيضا ما تطاول به المسعري على علماء الأمة؛ لذلك ذكره العلامة ابن باز باسمه. قال العلامة ابن باز (رحمه الله): (من الحاقدين الجاهلين الذين باعوا دينهم وباعوا أمانتهم

(١) ربيعة بن نزار شعب عظيم فيه قبائل عظام وبطون وأفخاذ، تفرقوا في الجزيرة لحروب وقعت بينهم.

ينظر: معجم قبائل العرب (٢/٤٢٤، ٤٢٥).

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري (٤٨/٥).

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق (١١/٣٤٨، ٣٤٩)، باب: التواضع (٦٥٠٢).

(٤) ينظر: القطبية هي الفتنة بعرفوها، للعدنان، ص (١٢٩).

(٥) عدد (٢٢٣)، ص (١١).

على الشيطان من جنس محمد المسعري<sup>(١)</sup>.

قلت: ولا بد من تذكر أنه لا يكاد أحد يجهل عفة لسان الشيخ ابن باز، فإذا سلط لسانه على أحد فثم أمر عظيم!.

حتى الألباني (رحمه الله) لم يسلم من طعن مجلة (السنة) التي يستقي منها (شباب الصحوة) أخبار العالم بقلم محمد سرور زين العابدين.

كما استغلت تلك المجلة قضية الصلح مع اليهود لتؤجر أحدهم فيطعن في الشيخ عبدالعزيز ابن باز، على عادتهم في استغلال القضايا السياسية للكيد للعلماء وإثارة العامة عليهم، واستنجد في ذلك بيوسف القرضاوي، ورمى الشيخ بأنه يفتي فيما ليس له به علم!.

ومن ذلك قوله: (وهل الشيخ على علم حقاً بما يجري حتى يدلي بدلوه في هذا الوقت بالذات، وفي مثل هذا الموضوع الخطير؟)<sup>(٢)</sup>.

إلى أن قال هل يعرف الشيخ ما معنى المستعمرات الاستيطانية؟ لا أظن! كما لا أظن أنه في هذه السن يمكنه أن يدع أحداً من تلاميذه أن يشرح ويوضح له هذا المصطلح، وما يترتب على استيطان هؤلاء اليهود.

قلت: إذن فالشيخ لا يعرف، ولا يجب أن يعرف؛ لأن كبر سنه ورثه كبرا عن تقبل النصح، فيما يظهر من هذا الهذيان.

ومع هذه التهم المهلكة فإن الشيخ في أدبه الذي لا يشق له فيه غبار لم يزد على أن قال بعد البيان العلمي: (ما ذكرناه في الصلح مع اليهود أوضحنا أدلته الشرعية فأرجو من الشيخ يوسف وغيره من إخواني أهل العلم إعادة النظر في هذا الأمر بناء على الأدلة الشرعية لا على العاطفة والاستحسان)<sup>(٣)</sup>.

وكان الأولى بذاك الطاعن ألا يفتح هذا الباب بمثل ذاك الطعن وكان الأولى بالقرضاوي أن يبري قلمه لتقويم جماعته (الإخوان المسلمون)؛ الذين نادوا بلا استحياء أن النصارى إخوانهم<sup>(٤)</sup>. ومن تطاولهم نشرهم أفكاراً مسمومة ومثال ذلك قولهم: (إن العالم الفلاني مختص في الحديث وليس بفقير فلا تأخذوا منه فتاواه، كما قالوا عن العلامة الألباني مراراً وتكراراً).

(١) جريدة المسلمون العدد (٥٤٣) (٢ صفر ١٤١٦ هـ).

(٢) مجلة المجتمع، عدد (١١٣٣).

(٣) جريدة المسلمون، ٢٥ رمضان ١٤١٥ هـ، ص (٤).

(٤) مجلة المجتمع، عدد (١١٤٩)، ص (٤١، ٤٠)، وينبغي أن يعلم أن لـ (هيئة كبار العلماء) بالمملكة العربية السعودية فتوى في أن (دعوى وحدة الأديان) وكذا (دعوى مؤاخاة اليهود والنصارى) كفر مخرج من الملة.



ومنها أن الشيخ ابن باز عالم في الفقه وغيره وليس عالما بالواقع، وكان تركيزهم الأكبر على أنهم علموا الشباب المسلم أن شيوخ الحجاز عملاء للسلطين، وأنهم جماعة (البترودولار)، وأنهم لا يوجهون أي نقد للسلطان وأنهم جلاوزته وأعوانه.

وليس أدل على صدق ما أقول من هذا المقال الذي نشرته صحيفة (الصباح الجديد)، وهي صحيفة أسبوعية يصدرها مكتب صحافة الاتجاه الإسلامي - أي الإخوان المسلمون - بجامعة الخرطوم ١٩٨٢/٢/١٧م حيث قالت:

(بسم الله الرحمن الرحيم. مع تبشير النصر، مشايخ الخليج يستصدرون الفتاوى البترودولارية ضد الخميني، إسلام الريالات أم إسلام القيم؟؟ أن يقف الإعلام الغربي ضد الحكومة الإسلامية في إيران فهذا شيء مألوف، وأن يعارضها الشيوعيون فهذا شيء طبيعي، ولكن لماذا يعاديه شيوخ الخليج وتحت مظلة الدين؟ أو بعبارة أخرى (الإسلام ضد الإسلام)، ولكنه إسلام الركون ضد إسلام الجهاد، وإسلام العجز ضد إسلام الاستشهاد، وإسلام الريال ضد إسلام القيم، وإسلام أعوان الظلمة ضد إسلام جند الله المجاهدين، على أنهم يتمنون من أعماق قلوبهم أن تكون هذه الثورة باطلا، وأن يكون شيوخ الخليج بقيادة أمير المؤمنين (.....) على درب الإسلام الصحيح، ولأن إسلام الدجاج الفرنسي الشهير (المذبوح وفقا للتعاليم الإسلامية) أفضل وأجمل وأمتع من إسلام الحرب والخذق).

هذا الكلام نشرته هذه الجريدة أيام فتن الإخوان المسلمون بثورة الخميني، فحسبوا أنها ثورة الإسلام الصحيح ودعوا المسلمين عبر جميع أنحاء العالم إلى مساندتها، تلك الثورة الفارسية الأبعاد، المجوسية الأصل، التي انخدع الملايين من المسلمين ببهرجتها، وانطلق الإخوان المسلمون في تزكيتها عبر مقالاتهم المكتوبة وخطبهم المسموعة، لم ينبج من مخالبيها ومخالب قائدها الماكر الخميني سوى علماء السلفية فكانوا حجر العثرة لكل من انخدع بها، وانطلقوا في كتابة مؤلفاتهم وبينوا فيها فضائح الشيعة قديما وحديثا، ومنهم علماء السلفية في الحجاز الذين لم تهرهم ثورة الخميني، ونادوا بأعلى صوته إن مجوسية جديدة قادمة لا محالة وقد ألف أحد الناس كتابا أسماه (وجاء دور المجوس)، وحذروا الشباب من الافتتان بها فكانوا نعم العلماء المدركون لواقعهم، وكان غيرهم بس الأغبياء الجهلة بدين الله فلا هم للإسلام نصروا، ولا للواقع فقهوا وإن ادعوا خلاف ذلك<sup>(١)</sup>.

(١) الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية ص (١٩٧، ١٩٨).

## المبحث الثاني: الشيعة في السياسة الشرعية وسياسة الإخوان:-

### المطلب الأول: موقف أهل السنة والجماعة من الشيعة:-

الشيعة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل أخذت طورا زمنيا، ومرت بمراحل مختلفة، ولكن طلائع العقيدة الشيعة وأصل أصولها ظهرت على يد (السبئية) (نسبة إلى ابن سبأ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (ذكر العلماء أن الرفض أساس الزندقة، وأن أول من ابتدع الرفض إنما كان منافقا زنديقا وهو عبد الله بن سبأ؛ فإنه إذا قدح في السابقين الأولين فقد قدح في نقل الرسالة أو في فهمها أو في اتباعها، فالرافضة تقدح تارة في علمهم بها وتارة في اتباعهم لها، وتحيل ذلك على أهل البيت وعلى المعصوم الذي ليس له وجود في الوجود)<sup>(١)</sup>.

وقد صار التشيع قناعا يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء المتورين الحاسدين؛ ولهذا نرى بعض الأئمة لا يسمون الطاعنين الشيخين بالشيعة، بل يسموهم الرافضة؛ لأنهم لا يستحقون وصف التشيع.

وقد وصل النزاع المذهبي بين الفرق الإسلامية حدا جعل بعض تلك الفرق يستعين بأعداء الأمة الإسلامية، فقد استعان الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي وكان من الشيعة بالتتار على أهل السنة، (فدبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد إلى هذه الأوقات، ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو)<sup>(٢)</sup>، وكان هدفه الذي يسعى إلى تحقيقه انتقال الخلافة إليهم،

قال الإمام السيوطي (رحمه الله): (ولما فرغ هولاء من قتل الخليفة وأهل بغداد، وأقام على العراق نوابه، وكان ابن العلقمي قد حسن لهم أن يقيموا خليفة علويا، فلم يوافقوه، واطرحوه، وصار معهم في صورة بعض الغلمان، ومات كمدأ (لا رحمه الله ولا عفا عنه))<sup>(٣)</sup>.

وتدين الشيعة بعقيدة الإمام الغائب المنتظر حيث لا يصح الجهاد إلا بعد ظهوره، فعطلوا بذلك الأداة الفعالة في مقاومة الغزاة والمستعمرين وهي الجهاد، ويبدو من متابعة الأحداث في الوقت الراهن في العراق أن علماء الشيعة لا يزالون يكبلون أتباعهم بهذا المعتقد<sup>(٤)</sup> (٥).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/١٠٢، ٤٣٥، ١٨٤/٣٥)، والفتاوى الكبرى له أيضا (١/٥٧).

(٢) البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي (١٣/٢١٤).

(٣) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص (٥٢٥).

(٤) ينظر: مختصر المنتقى من منهاج الاعتدال للحافظ الذهبي، ص (٣٧).

(٥) في خطبة لأحد خطباء المساجد ببغداد قال: جميعنا قنابل موقوتة بيد الحوزة الشريفة وميت تأمر فإننا سندمر. نحن لا نزال بانتظار أوامر الحوزة العلمية التي يجب أن تقود العراق، وقال: إخوة السنة والشيعة دعونا نكون جهاديين ولكن بالمعنى السلمي لا العنفي! جريدة الحياة اللندنية في ٢٠/٣/٢٠٠٤م يستثني من هذا موقف مقتضي الصدر وأتباعه من الشيعة في مقاومة الاحتلال.

والذي تجسد من قبل في الدور الخطير الذي قام به الشيعة في دعم القوات الأمريكية لاحتلال العراق (وفي ضاحية بغدادية يقيم فيها نحو مليونين من الشيعة، استقبلوا القوات الأمريكية بالترحاب والهتاف (إننا نحبكم) وطردوا ميلشيات صدام التي كانت مكلفة بالدفاع عن المدينة تمهيدا لدخول قوات الاحتلال)<sup>(١)</sup>.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الشيعة أن منهم الكافر والفاسق وتظلمهم البدعة المكفرة أو المفسقة.

وقد بدع علماء الأمة وفسقوا الشيعة ومن وافقهم، قال الإمام مالك رحمه الله: (الذي يشتم أصحاب النبي ليس له سهم، أو قال: نصيب في الإسلام).

قال الإمام الحافظ بن كثير الدمشقي (رحمه الله): في تفسير قول الله U ( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا )<sup>(٢)</sup>، (ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة y قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة y فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء على ذلك)<sup>(٣)</sup>، وقال الإمام القرطبي (رحمه الله): (لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين)<sup>(٤)</sup>، وقال الإمام أحمد (رحمه الله): في كتاب (السنة) عن الرافضة (هم الذين يتبرءون من أصحاب محمد ٣ ويسبونهم وينتقصونهم ويكفرون الأئمة إلا أربعة: علي وعمار والمقداد وسلمان وليست الرافضة من الإسلام في شيء)<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام البخاري (رحمه الله): (ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم)<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: مجلة البيان العدد ١٨٧ ربيع أول سنة ١٤٢٤هـ - مايو سنة ٢٠٠٣م عن فكرة الإسلام ١٠/٤/٢٠٠٣م.

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٣) تفسير ابن كثير (٢١٩/٤).

(٤) تفسير القرطبي (٢٩٧/١٦).

(٥) السنة للإمام أحمد، ص (٨٢).

(٦) خلق أفعال العباد، ص (١٢٥).

قال الإمام عبدالقادر البغدادي (رحمه الله): (وأما أهل الأهواء من الجارودية والهاشمية والجهمية والإمامية الذين كفروا خيار الصحابة، فإننا نكفرهم، ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم)<sup>(١)</sup>.

قال القاضي أبو يعلى (رحمه الله): (وأما الرافضة فالحكم فيهم إن كفر الصحابة أو فسقهم بمعنى يستوجب به النار فهو كافر)<sup>(٢)</sup>، والرافضة يكفرون أكثر الصحابة كما هو معلوم.

قال القاضي عياض (رحمه الله): (نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء. وقال: وكذلك نكفر من أنكر القرآن أو حرفا منه أو غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية)<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، فلا خلاف في كفرهم.

ومن زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضا في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم. بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام)<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضا عن الرافضة (رحمه الله): (أنهم شر من عامة أهل الأهواء، وأحق بالقتال من الخوارج)<sup>(٥)</sup>، وهذا هو مجمل أقوال أهل العلم في الشيعة وهو الذي يعتقده أهل السنة والجماعة.

### المطلب الثاني: موقف الإخوان المسلمين من الشيعة:-

لمعرفة موقف جماعة الإخوان المسلمين من الشيعة، وموقفهم من التقريب بين السنة والشيعة نأخذ أقوال أهم مفكري ومنظري الجماعة هداهم الله وردهم لأتباع الحق والدعوة إليه.

قال الدكتور إسحاق موسى الحسيني في كتابه (الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة):

(أن بعض الطلاب الشيعة الذين كانوا يدرسون في مصر قد انضموا إلى جماعة الإخوان المسلمين، ومن المعروف أن صفوف الإخوان المسلمين في العراق كانت تضم الكثير من الشيعة

(١) الفرق بين الفرق، ص (٣٥٧).

(٢) المعتمد، ص (٢٦٧).

(٣) ينظر: كتاب الشفا (٢/٢٤٠).

(٤) الصارم المسلول، ص (٥٨٦، ٥٨٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٤٨٢/٢٨).

الإمامية الإثنا عشرية، وعندما زار نواب صفوي سوريا، وقابل الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين اشتكى إليه الأخير أن بعض شباب الشيعة ينضمون إلى الحركات العلمانية والقومية، فصعد نواب إلى أحد المنابر، وقال أمام حشد من الشبان الشيعة والسنة: من أراد أن يكون جعفرًا حقيقيًا، فلي انضم إلى صفوف الإخوان المسلمين).

قال الأستاذ فتحي يكن (أحد مفكري الإخوان في لبنان):

(وقد منح الحميني الرافضي لقب "مجدد الإسلام" قلة قليلة من مجدي الإسلام في هذا العصر، الذين طرحوا الإسلام كبديل عالمي، والحميني يعتبر من هؤلاء)<sup>(١)</sup>.

قال محمد الغزالي: (جعل الشقاق بين الشيعة والسنة متصلًا بأصول العقيدة ليمزق الدين الواحد فإن الفريقين يقيمان صلتيهما بالإسلام على الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله، إن المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة والمذهب الفقهي لمالك أو الشافعي، ونحن نرى الجميع سواء في نشدان الحقيقة وإن اختلفت الأساليب)<sup>(٢)</sup>.

قال حامد أبو النصر المرشد العام للجماعة:

(الإخوان المسلمون يحتسبون عند الله فقيد الإسلام الحميني، القائد الذي فجر الثورة الإسلامية ضد الطغاة، ويسألون الله له المغفرة والرحمة ويقدمون خالص العزاء لحكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية والشعب الإيراني الكريم. إنا لله وإنا إليه راجعون)<sup>(٣)</sup>.

قال راشد الغنوشي:

(ولكن الذي عينا من بين ذلك الاتجاه الذي ينطلق من مفهوم الإسلام الشامل مستهدفًا إقامة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية على أساس ذلك التصور الشامل وهذا المفهوم ينطبق على ثلاثة اتجاهات كبرى: الإخوان المسلمين، الجماعات الإسلامية بباكستان، وحركة الحميني في إيران)<sup>(٤)</sup>.

قال أبو الأعلى المودودي:

(و ثورة الحميني ثورة إسلامية والقائمون عليها هم جماعة إسلامية وشباب تلقوا التربية في الحركات الإسلامية وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الإسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة وتتعاون معها في جميع المجالات)<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: مجلة الشهاب الإخوانية، عدد ٢، شوال ١٤١٢هـ.

(٢) كيف نفهم الإسلام، ص (١٤٣-١٤٥).

(٣) مجلة الغرباء عدد ٧ سنة ١٩٨٩م تصدر في بريطانيا، وينظر: مجلة الأمان (٢٨/٨٩) ١٩٩٤م.

(٤) الحركة الإسلامية والتحديث، ص (١٧).

(٥) العدد ١٩ أغسطس ١٩٧٩م.

قال طارق السويدان: في محاضراته (الحوار في الساحة الإسلامية واقع ومعالجات):  
(وأعتقد أن نقاط الاتفاق كثيرة جداً، واعتقد أيضاً أن نقاط القصور كثيرة جداً، ولأضرب مثالا واضحاً من القضايا الرئيسية يعتز به الأخوة الشيعة: قضية تبجيل وتعظيم أهل البيت عليهم السلام، وكنت تأملت في هذه المسألة عند أهل السنة والجماعة فوجدت أيضاً عند أهل السنة والجماعة تبجيلاً وتعظيماً لأهل البيت، لكن إظهار هذا التبجيل والتعظيم عند أهل السنة بالتأكيد أقل مما هو عند الشيعة، وهذا - أنا أقوله بلا تردد - قصور عند الإخوة السنة، ويجب أن يعبروا عن حبهم وولائهم وتعظيمهم لأهل البيت، أنا ما أقول هذا الكلام مجاملة لكم، هذا دين، هذا كلام دين موجود في كتاب الله تعالى وموجود في السنة النبوية، وموجود في التطبيق الواضح فتعبرنا نحن السنة عن قضية حبنا لأهل البيت أقل مما ينبغي فيجب أن يزداد).

هذا هو موقف الإخوان من الشيعة وأنهما يتبعان أيديولوجية واحدة حتى عبر بعضهم بأن الشيعة والسنة بابان من أبواب الجنة هكذا وصل بهم الضلال والفساد العقائدي.

قال الله U ( أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) <sup>(١)</sup>

#### المطلب الثالث: الرد على الإخوان في موقفهم من الشيعة:-

إن مما يؤكد التميع العقدي لدى جماعة الإخوان المسلمين واضطرابهم علاقتهم مع الشيعة الروافض وموقفهم من ثورتهم البائسة في إيران.

ولقد بدأت علاقة الإخوان المسلمين مع الشيعة في عهد حسن البنا فقد اشترك في حملة التقريب بين المذاهب الإسلامية. وقد ساهم في هذا المشروع البنا والقمي أحد كبار علماء الشيعة وقد حصل بينهم اجتماعات ومقابلات <sup>(٢)</sup>.

ويمكن إرجاع سبب التقارب لأمرين اثنين:

الأمر الأول: التشابه الواقع بين المنهجين وهذا ما اعترف به المستشار

سالم البهنساوي فقال: ولا غرو في ذلك فمناهج الجماعتين تؤدي إلى هذا التعاون.

الأمر الثاني: تجاهل عقائد الشيعة الخطرة واعتبار الشيعة كالمذاهب الأربعة كما زعم حسن

البنا وشيعته <sup>(٣)</sup>.

ثم سار أتباع جماعة الإخوان على نهج حسن البنا وعلى عقيدته وطريقته يدعون إلى هذه الدعوة المشنومة.

(١) سورة القلم الآيتان، ٣٥، ٣٦.

(٢) الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة يفهم سلف الأمة، لسليم بن عبد الحلال، ص (٢٣٨).

(٣) السابق، ص (٢٤٠).

قال النجمي:

(نقل عز الدين إبراهيم في كتاب موقف علماء المسلمين من الشيعة<sup>(١)</sup> عن الغزالي تصرّحاً بالتقريب بين المذاهب الإسلامية وعلى رأسهم الشيعة<sup>(٢)</sup>).

وهذه الدعوى دعا بها كبار منظري الإخوان منهم صبحي الصالح والدكتور عبد الكريم زيدان ومحمد أبو زهرة والدكتور مصطفى الشكعة والشيخ حسن أيوب وحسن الترابي وفتحي يكن والشيخ سعيد حوى والمفكر أنور الجندى والأستاذ سميح عاطف الزين والأستاذ صابر طعيمة والأستاذ علي سامي النشار والدكتور علي عبد الواحد وافي وزينب الغزالي والتلمساني ويوسف العظم والغنوشي، كل هؤلاء لهم مقالات ضمن مؤلفات أو إجابات على أسئلة يؤيدون فيها فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ويرثون الشيعة أن تكون عندهم عقائد منحرفة توجب الكفر أو الفسق ويقررون كلهم أن الشيعة مسلمون كسائر المسلمين لأنهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ويحجون وأن الخلاف بينهم وبين أهل السنة كاخلاف بينهم وبين المذاهب<sup>(٣)</sup>.

وقد سعد بذلك الرافضة غاية السعادة ووجدوا في الإخوان أفيونا لأهل السنة، وتحقق لهم بذلك التسلسل في الأمة حتى صار المسئول الإعلامي للجماعة الإسلامية في جنوب لبنان من كبار الرافضة (عبد الأمير حيدري)، والذي اتخذ له اسماً على التقية (مصعب حيدري)؛ ليخفي حقيقته وأخذوا يصدقون الأموال على هؤلاء الإخوان. ومن الأدلة على ذلك ما حظيت به مجلة (الأمان) الإخوانية من الدعم الشهري المقدم من السفارة الإيرانية في لبنان بنحو ستة عشر ألف دولار. وهذا والله أمر يبهتون بإثمه، فقد كان علمائنا من قبل يحذرون أشد التحذير من الرافضة وخطرهم.

قال الإمام البخاري (رحمه الله): (ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم)<sup>(٤)</sup>.

وقال الشافعي (رحمه الله): (لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة)<sup>(٥)</sup>.

وسئل الشافعي (رحمه الله): (أصلي خلف الرافضي؟ قال: لا تصل خلف الرافضي)<sup>(٦)</sup>.

(١) السابق، ص (٢٢).

(٢) المورد العذب الزلال، ص (٢٠٦).

(٣) البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (١٧).

(٤) خلق أفعال العباد، ص (١٢٥).

(٥) السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٨/١٠)، وسير أعلام النبلاء (٨٩/١٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (٣١/١٠).

قال السبكي (رحمه الله): (ورأيت في المحيط من كتب الحنفية عن محمد: أنه لا تجوز الصلاة خلف الرافضة)<sup>(١)</sup>.

وقال (رحمه الله) أيضاً: (أن مذهب أبي حنيفة وأحد الوجهين عند الشافعي والظاهر من الطحاوي في عقيدته كفر ساب أبي بكر)<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام (رحمه الله) في الفتاوى: (أن سب الشيخين كفر وكذا إنكار إمامتهما. وكان أبو يوسف صاحب أبي حنيفة يقول: "لا أصلي خلف جهمي ولا رافضي ولا قدري")<sup>(٣)</sup>.

وقال وكيع (رحمه الله): (الرافضة شر من القدرية)<sup>(٤)</sup>، وكان أحمد (رحمه الله): ينهى عن التسليم على الرافضي أو الصلاة عليه إذا كان داعية لمذهبه.

قال الخلال (رحمه الله): (سئل أحمد عن السلام على الرافضي فقال: "لا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام". وفي رواية قال: "لا تكلمه")<sup>(٥)</sup>.

قال أبو بكر المروزي (رحمه الله): (سألت أبا عبد الله عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: ما أراه على الإسلام)

قال الخلال: أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد قال: (سمعت أبا عبد الله قال: من شتم أخاف عليه الكفر مثل الروافض، ثم قال: من شتم أصحاب النبي لا نأمن أن يكون قد مرق عن الدين)<sup>(٦)</sup>، وقال أخبرني عبد الله بن أحمد بن حنبل (رحمه الله) قال: - (سألت أبي عن رجل شتم رجلاً من أصحاب النبي فقال: ما أراه على الإسلام)<sup>(٧)</sup>.

قال الإمام أحمد (رحمه الله): (هم الذين يتبرءون من أصحاب محمد ويسبونهم وينتقصونهم ويكفرون الأئمة إلا أربعة: علي وعمار والمقداد وسلمان وليست الرافضة من الإسلام في شيء)<sup>(٨)</sup>.

قال الإمام مالك (رحمه الله): (الذي يشتم أصحاب النبي ٣ ليس له سهم)، أو قال: (نصيب في الإسلام)<sup>(٩)</sup>.

(١) فتاوى السبكي (٥٧٦/٢)، وأصول الدين (٣٤٢).

(٢) فتاوى السبكي (٥٩٠/٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة لللالكائي (٧٣٣/٤).

(٤) خلق أفعال العباد، للبخاري، ص (٢٢).

(٥) السنة (٤٩٤/٢)، رواية رقم (٧٨٥).

(٦) السنة للخلال (٥٥٨، ٥٥٧/٢).

(٧) السابق

(٨) السنة للإمام أحمد، ص (٨٢).

(٩) السنة للخلال (٥٥٧/٢).



وقال أيضاً (رحمه الله): (ليس لمن سب أصحاب رسول الله في الفبيء حق) (١)، فقد قسم الله الفبيء على ثلاثة أصناف فقال: للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله: أولئك هم الصادقون. ثم قال ( وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) (٢)، ثم قال ( وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ) (٣)، فإنما الفبيء هؤلاء الأصناف الثلاثة (٤).

#### المطلب الرابع: موقف الإخوان من الخميني:-

أيد الإخوان المسلمين ثورة الشيعة البائسة في إيران سنة (١٣٩٩هـ).  
ليس أدل على ذلك من البيان الذي أصدره التنظيم الدولي لجماعة الإخوان المسلمين، وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

دعا التنظيم الدولي للإخوان المسلمين قيادات الحركات الإسلامية في كل من: تركيا، والباكستان، والهند، وأندونيسيا، وأفغانستان، وماليزيا، والفلبين، بالإضافة إلى تنظيمات الإخوان المسلمين المحلية في العالم العربي، وأوروبا، وأمريكا إلى اجتماع أسفر عن تكوين وفد توجه إلى طهران على طائرة خاصة، وقابل آية الله الخميني؛ لتأكيد تضامن الحركة الإسلامية الممثلة في الوفد كافة وهي: الإخوان المسلمون، حزب السلامة التركي، الجماعة الإسلامية في باكستان، الجماعة الإسلامية في الهند، جماعة حزب ماشومي في أندونيسيا، جماعة شباب الإسلام في ماليزيا، الجماعة الإسلامية في الفلبين: وقد كان اللقاء مشهدا من مشاهد عظمة الإسلام وقدرته في الوقت اللازم على إذابة الفوارق العنصرية والقومية والمذهبية.

وقد اهتم الخميني بالوضع، وأكد لهم أنه ظل دائم الثقة في منفاه بأن رصيده هو رصيد الثورة الإسلامية في العالم وهو كل مسلم موحد يقول: لا إله إلا الله، ومكانها ليس إيران فقط، ولكن كل دولة إسلامية يتجبر حاكمها على الدين الإسلامي، ويتصدى لتيار حركته، وأن الله الذي أكرم الخميني بالنصر على الشاه سوف ينصر كل خميني على شاه.

(١) الاستذكار لابن عبد البر (٧/٥).

(٢) سورة الحشر الآية ٩.

(٣) سورة الحشر الآية ١٠.

(٤) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٦٨/٧). وذكره القاضي عياض في الشفا وفي ترتيب المدارك (٤٦/٢).

وقد أكد الوفد من جانبه للخميني: أن الحركات الإسلامية ستظل على عهدها في خدمة الثورة الإسلامية في إيران، وفي كل مكان بكل طاقاتها البشرية والعلمية والمادية.

وبعد أن أدى الوفد صلاة الغائب على الشهداء، عقد سلسلة من اجتماعات مع الدكتور إبراهيم يزدي، نائب رئيس الوزراء، والمساعد الشخصي للإمام الخميني، والذي كان على صلة شخصية بأعضاء الوفد في المهجر، وأثناء التحرك السري لتنظيم الخميني ضد قوات السافاك، وقد ركزت هذه الاجتماعات على التنسيق والتعاون القادمين، ثم زار الوفد رئيس الحكومة الدكتور مهدي بازرگان في مقابلة خاصة، ثم أعلن الوفد في مقابلة تلفازية مؤثرة الدعوة إلى يوم التضامن مع الثورة الإيرانية في جميع أنحاء العالم الإسلامي وخارجه حيثما توجد الجاليات والتجمعات الإسلامية، وتقام صلاة الغائب على شهداء الثورة الإيرانية بعد صلاة الجمعة يوم (١٦/٣/١٩٧٩م)، وإنا لندعو جميع العاملين في الحقل الإسلامي، في كل مكان أن يذكروا هذا اليوم، ويذكروا به، ويجعلوا من صلاة الغائب فيه رمزا لوحدة الأمة الإسلامية، ومصادقا لقول الخميني: إن رصيد الثورة الإسلامية في إيران هو كل مسلم موحد يقول: لا إله إلا الله.

الله أكبر، والله الحمد. الإخوان المسلمون) اهـ.

هذا بخلاف البيان الذي أصدره الإخوان المسلمون في الأردن والذي جاء فيه (إن قرار الإخوان المسلمين بتأييد الثورة الإسلامية في إيران قرارا ينسجم تماما مع شعارات الجماعة ومركزاتها وتصورها الإسلامي الصافي ومركزاتها الحركية التنظيمية).

وقد قام وفد من حركة الإخوان المسلمين في الأردن بزيارة طهران والتقى برعوس الشيعة هناك، بل قامت حركة الإخوان في الأردن بعقد مؤتمر حافل في المسجد الحسيني في عمان، وقال أحد محاضريهم: مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في إيران<sup>(١)</sup>.

وهذا فتحي يكن وهو أحد القادة الإخوانيين الذين أفنوا أعمارهم في خدمة دعوة الإخوان المسلمين بكل ما أوتي من قوة، يتحدث في أحد كتبه عن التغيير الإسلامي المطلوب، وكيف سيواجه هذا التغيير بالمؤامرات العالمية،

يقول ما نصه: (إن التغيير الإسلامي المطلوب هو تغيير جذري للأسس والمركزات الفكرية والعقائدية والتشريعية والسلوكية، التي تقوم عليها الكيانات والمجتمعات القائمة على أساس التصور المادي، والتفسير الديالكتيكي، والتشريع الوضعي، إن تغييرا هذا حجمه وهذه أبعاده هو بالتأكيد عملية ليست صعبة فحسب وإنما هي خطيرة كذلك، وخطورة ما فيها أنها ستواجه مواجهة عالمية، وسيكون التآمر عليها عالميا، وفي التاريخ القريب شاهد على ما نقول، ألا وهو

(١) مجلة فلسطين، آذار ١٩٩١م.

(تجربة الثورة الإسلامية في إيران) هذه التجربة التي هبت لخاربتها وإجهاضها كل قوى الأرض الكافرة ولا تزال بسبب أنها إسلامية، وأنها لا شرقية ولا غربية، فالتغيير الإسلامي وإقامة حكم الله في أي مكان، ستتصدى لهما الصهيونية العالمية وعملاؤها، والصليبية العالمية، والشيوعية وأذناها، وسترصده الأموال، ويحشد الرجال، وتوضع كافة الإمكانيات للحيلولة دون قيام البديل الإسلامي، فهل يجوز بعد هذا كله أن يبقى العمل الإسلامي (دكاكين ومزارع) هنا وهناك، ويبقى الجهد الإسلامي صحيحة في واد ونفخة في رماد؟<sup>(١)</sup>.

وقد كان الأستاذ فتحي يكن مثنيا على الثورات الشيعية في إيران قبل ثورة الخميني أيضا، واعتبر القادة الأوائل لثورة إيران مجاهدين وشهداء، فقال في أحد كتبه بعد أن أرخ لأبطال هذا القرن - حسب رأيه - ما يلي: (وفي إيران حكمت محكمة خاصة عام ١٩٥٦م على المجاهد نواب صفوي، ومجموعة من مجاهدي منظمة (فدائيان إسلام) بالموت ثمنا لانحراف السياسة الإيرانية، وارتباطها بعجلة الاستعمار الغربي، فقد كان حسن البنا وإخوانه ينددون بهذه السياسة، وينادون بانتهاج سياسة مستقلة بعيدة عن مناطق النفوذ، ويدعون إلى تطبيق شرع الله في أجهزة الدولة والحكم)<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أن نواب صفوي ورفاقه من كبار الشيعة، وأن الشرع الذي يطالبون بتطبيقه لا يفهمونه إلا من منظور المذهب الشيعي المتطرف، فلماذا يزكيهم الأستاذ فتحي يكن؟. الجواب: مفهوم وبسيط وهو أن الإخوان لا يرون أي ضرر أو خسران بتحالفهم مع الشيعة، لأنهم يدعون أن الخلاف بيننا وبينهم من الفرعيات، ولذلك لا مانع عند الإخوان إطلاقا من مباركة ثورة الخميني، التي ذرت الرماد في العيون، وخدعت الإخوان المسلمين ببريقها أكثر من غيرهم.

وقد كان الشيخ حسن البنا نفسه من الذين يقيمون العلاقات مع الشيعة في إيران، فلا غرو أن تأتي حركته بكل هذا التملق والتزلف لثورة الخميني، لأن (حسن البنا وإن كان قد مات منذ أكثر من ربع قرن من الزمان قبل انفجار ثورة الخميني في إيران عام ١٩٧٨م، إلا أنه تمكن من غرس حب الشيعة ومهادنتهم في قلوب أتباعه، فجاءوا من بعده مؤيدين مناصرين لكل ثورة شيعية يدعي زعمائها أنهم سيطبقون شريعة الله، وعلى رأسهم إمام إيران الخميني).

وعلى درب هؤلاء سار الدكتور الإخواني حسن الترابي فزكى ثورة إيران الخمينية في محاضرة ألقاها بعنوان (الحركة الإسلامية والتحديث)، فقال ما يلي: (وحركة الإسلام شهدت

(١) أبعاديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، للأستاذ فتحي يكن، ص (١٤٧، ١٤٨).

(٢) قوارب النجاة في حياة الدعاة، للأستاذ فتحي يكن، ص (٤٨).

تجارب شتى في التجديد بالمجادلة بالحسنى، وفي التعرض للعدوان والفتنة من جراء ذلك، وهي اليوم تشهد تجارب جديدة في ثورة إيمان في النفوس تنقلب ثورة قوة في الواقع ولعل أروع نماذجها في الثورة الإيرانية الإسلامية التي نسمع قصتها ونعيش عبرتها هذه الأيام، والتي أرجو أن ألقاكم في أجل قريب لأحدثكم عما وقع في نفسي منها<sup>(١)</sup>.

كما أصدر الطلبة الكويتيون باتحادهم الطلابي الإخواني المنهج بياناً دعوا فيه الشعوب الإسلامية إلى الوقوف جنباً إلى جنب مع ثورة الخميني ومناصرتها ومساعدتها، ونقف بعد هذا الكلام قليلاً، ونقول انظروا هذا الحذق السياسي والرؤية الشمولية الذي يدعيه الإخوان المسلمون دائماً، ويتهمون غيرهم مع ذلك بقصور النظر وعدم فهم السياسة<sup>(٢)</sup>.

إن العلماء السلفيين لما قاموا بالتحذير من الشيعة ومن إمامهم الخميني، بدأت التحذيرات الإخوانية ضد العلماء الكبار، وبدأت التهم الإخوانية تبرز جلية وواضحة ومفادها أن العلماء عملاء ومثبطون لثورة إيران الإسلامية.

وعندما سقط القناع عن وجه الخميني الذي اتخذ الإخوانيون بعدله عندما صرخ في وجه العالم (بأنه لا سنية ولا شيعية وحدتنا وحدة إسلامية) وبدأ هذا الأخير (بعد أن أرسى دعائمه) يظهر فكره الحقيقي وتعصبه الأعمى للمقوت لمذهبه، وبدأ النكال في عهده والتعذيب والاعتقال والسجون والإرهاب لأهل السنة في إيران، أصيب بعض قادة الإخوان المسلمين بصدمة كبيرة وخيبة أمل بالغة، فبدأ بعضهم يتراجع عن موقفه من ثورة إيران، ومنهم زعيم الإخوان المسلمين في سوريا الأستاذ سعيد حوى، الذي كتب كتاباً كاملاً حذر فيه من الخميني وتبرأ منه ومن كل من والاه ونصره، فقال بكل حرارة ما يلي: (وعندما انتصر الخميني ظن المخلصون في هذه الأمة أن الخمينية إرجاع الأمر إلى نصابه، في حب آل بيت رسول الله وتحرير التشيع من العقائد الزائفة والمواقف الخائنة، خاصة أن الخميني أعلن في الأيام الأولى من انتصاره أن ثورته إسلامية وليست مذهبية، وأن ثورته لصالح المستضعفين ولصالح تحرير شعوب الأمة الإسلامية عامة، ولصالح تحرير فلسطين خاصة).

ثم بدأت الأمور تتكشف للمخلصين، فإذا بالخميني هذا يتبنى كل العقائد الشاذة للتشيع عبر التاريخ، وإذا بالمواقف الخائنة للشذوذ الشيعي تظهر بالخميني والحمينية، فكانت نكسة كبيرة وخيبة أمل خطيرة<sup>(٣)</sup>.

(١) نقلاً عن كتاب فتنة التكفير والحاكمة، للشيخ محمد الحسين، ص (٨٣)، والأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية، ص (٢٦٥).

(٢) نقلاً عن كتاب وقفات مع كتاب للدعاة فقط، للشيخ العجمي، ص (٥٩، ٦٠، ٦١).

(٣) الخمينية شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف، سعيد حوى، ص (٦، ٥).

وواصل سعيد حوى كلامه في التحذير من الخمينية قائلا في كتابه (الخمينية شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف)<sup>(١)</sup> ما نصه: (جاءت الخمينية المارقة تحذو حذو أسلافها من حركات الغلو والزندقة، التي جمعت بين الشعوبية في الرأي والفساد في العقيدة تتاجر بمشاعر جماهير المتعلقين بالإسلام تاريخا وعقيدة وتراثا، فتستأجر بالإسلام قولا وتبطن جملة الشذوذ العقدي والحركي، الذي كان سمة مشتركة وتراثا جامعا للهالكين من أسلافها من الآباء: مسيلمة والبابية والصفوية، فيعيدون إلى واقع المسلمين كل نزعات الشر والدمار التي جسدها تلك الحركات المشبوهة الساقطة في شرك الكفر والزندقة والعصيان)<sup>(٢)</sup>.

وبعد الكلام الطويل عن الخميني وخطورته يختم سعيد حوى كلامه، بقوله: (وهؤلاء الخمينيون ظالمون ومن بعض ظلمهم أنهم يظلمون أبا بكر وعمر، فكيف يواليتهم مسلم، قال الله U (وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)<sup>(٣)</sup>).

إنه لا يواليتهم إلا ظالم، ومن يرضى أن يكون ظالماً لأبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة وطلحة والزبير؟.

ومن يرضى أن يكون أداة بيد الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم؟.

ألا يرى الناس أنه مع أن ثلث أهل إيران من السنة لا يوجد وزير سني؟.

ألا يرى الناس ماذا يفعل بأهل السنة في لبنان سواء في ذلك اللبنانيون أو الفلسطينيون؟ ألا يرى الناس ماذا يفعل حليف إيران بالإسلام والمسلمين؟ أليست هذه الأمور كافية للتبصير؟ وهل بعد ذلك عذر لمخدوع؟ ألا إنه قد حكم المخدوعون على أنفسهم أنهم أعداء لهذه الأمة وأنهم أعداء لشعوبهم وأوطانهم، وأنهم يتآمرون على مستقبل أتباعهم فهل هم تائبون؟ اللهم إني أبرأ إليك من الخميني والخمينية ومن كل من والاهم، وأيدهم وحالفهم وتحالف معهم، اللهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)<sup>(٤)</sup>.

ومثلما وقع للمفكر والداعية سعيد حوى وقع مثله لمجلة المجتمع الكويتية، التي اشتهرت بمساندتها لثورة إيران، وسخريتها من السلفيين الذين لم يساندوا الخميني وثورته، فقد رجعت أسرة مجلة المجتمع عن رأيها وأعادت النظر في مساندتها للثورة الإيرانية.

وتحت عنوان (لماذا غيرت مجلة المجتمع موقفها من الثورة الإيرانية): كتب المقال التالي: (وأما المرحلة الثالثة فهي المرحلة التي بدأ فيها النظام الإيراني الجديد يكشف عن آرائه وتطلعاته، منها

(١) ص (٨، ٩).

(٢) الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية، ص (٢٦٦-٢٦٨).

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٩.

(٤) الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية، ص (٢٦٨-٢٦٩).

معاملة أهل السنة بإيران مثل معاملة اليهود والنصارى، ومنها تنفيذ خطتهم الرامية إلى تحويل أهل السنة إلى شيعة، ومنها عمالتهم لأمريكا حيث حصلت أمريكا على ما تريده في عهد الخميني أكثر من الشاه ومنها التعصب للقومية الفارسية، حيث أجبرت سكان المناطق العربية على دراسة اللغة الفارسية بدلا من لغة القرآن، ثم بينوا ندمهم وعزموا على تصليح مواقفهم فقالوا: إننا مع كل دعوة إسلامية صحيحة تدعو إلى الكتاب والسنة، وكل دعوة تدعو إلى سب الصحابة أو رفع بعضهم إلى مرتبة الألوهية فنحن سوف نعارضها ولا نسمح لها أن تعبت بعقول المسلمين<sup>(١)</sup>. وسبهم للصحابة وتأليههم لآل البيت مضى عليه أكثر من ألف وثلاثمائة عام، وهو معروف عند جماعة الإخوان، ولكن ما استطاعوا أن يقاوموا العاطفة الهوجاء، التي دائما تتلاعب بأفكارهم. والسبب الذي جعل السلفيين يشبّون أمام تيار الثورة الإيرانية، ولا ينساقون وراءها راجع أساسا إلى عدة عوامل منها:

العامل الأول:- أن السلفيين لهم منهج واضح وبين، ومنهجهم هذا مبني على دعائم صلبة لا تؤثر فيها الأحداث العصرية؛ لأن ميزانهم هو الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة. لا تؤثر فيها الأحداث العصرية؛ لأن ميزانهم هو الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

العامل الثاني:- أن السلفيين درسوا العقيدة، وركزوا عليها تركيزا كليا، ودراساتهم للعقيدة الصحيحة والعمل بها وبما ورد في الكتاب الكريم أو السنة المطهرة - على نبيها أفضل الصلاة وأزكى التسليم - مكنهم من معرفة الفرق المنحرفة عن هذه العقيدة، ومنها فرقة الشيعة الضالة.

العامل الثالث:- أن السلفيين درسوا أهم تعاليم الشيعة، وعرفوا أشهر فرقها وخبروا منهج هؤلاء الضلال، فعرفوا أن من دينهم ومن أصولهم المهمة: التقية، وهي إظهارهم لأمر يخالف ما يبطنون، تورية ومخادعة للتمكن من السيطرة على خصومهم، فلم ينخدع السلفيون بهم لمعرفتهم أنهم أصحاب تقية عظمى.

العامل الرابع:- أن السلفيين عرفوا مكانة ابن سبأ مؤسس المذهب الشيعي، وهو يهودي ماكر ابتدع بدعة الولاء لعلي t، ليتمكن من تمزيق الأمة الإسلامية في أزهى عصورها وأعظم قرونها، وعرفوا أن الشيعة ورثوا هذا المكر عن أسلافهم، فكانوا سببا في الإطاحة بالأمة وإراقة دماؤها بمسانداتهم - بعد قرون من ظهورهم - للتتار عن طريق الوزير الخائن العلقمي وعلامتهم المنافق نصير الدين الطوسي فلم ينخدعوا في هذا القرن لا بالخميني ولا بثورته ولا بشيعة إيران ولا بمن ساندتهم وسار على دربهم، حتى ولو كان من ذوي الأسماء اللامعة والمعروفة مثل زعماء الإخوان المسلمين.

العامل الخامس:- أن السلفيين — دائما مرتبطون بعلمائهم إيمانا منهم بأنهم ورثة الأنبياء

لقوله ٣ "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر" (١).

هذه هي أهم العوامل التي أدت بالسلفيين الملتزمين بمنهجهم حق الالتزام أن يشبثوا أمام المد الخميني الإيراني الشيعي الزاحف، أما الإخوان فإنهم علي العكس من ذلك تماما لذا لم يشبثوا في وجه الثورة الإيرانية، حتى علموا نبأها بعد حين وعلى الرغم من تراجع بعض رجالهم في تأييد ثورة الخميني، فقد ظلت القيادة الإخوانية الأم تفتخر بأنه من مآثرها تأييدها لثورة إيران، واعتبارها ثورة إسلامية صحيحة، وخير دليل على ذلك موقف مرشدهم الرابع بعد حسن البنا وحسن المصبي وعمر التلمساني، الشيخ حامد أبو النصر الذي سئل في حوار صحفي عن موقف الإخوان المسلمين من الجهاد في أفغانستان، فاعتقد أن الصحفي يسأله عن الثورة الإيرانية، فأجاب بكل حرارة بما يلي: (لا شك حينما ولدت هذه الثورة فرحنا بها غاية الفرح، لم؟ لأننا نريد نموذجا حديثا يعالج القضايا الإسلامية ويربي الدولة الإسلامية ويقوم الدولة الإسلامية، كنا فرحين على اعتبار أنها دولة شابة حديثة سيكون لها كيان خصوصا بعدما أخرجت الإمبراطور الشاه والأمور هذه كلها قوة مستقلة لها أهداف إسلامية معينة فرحنا بها.

فقال له الصحفي: نحن نتكلم عن أفغانستان.

فأجاب أبو النصر: لا إله إلا الله.

هكذا عبر أبو النصر عن فرحه بثورة إيران رغم أن الحوار أجري معه في شهر شعبان سنة ١٤٠٨هـ) (٢).

وكانت تلك الفترة كافية لكشف فضائح ثورة الخميني، وعمق بعدها عن المنهج الصحيح والعقيدة السليمة، ومع ذلك ظل أبو النصر معجبا بما فتمت يعاдиها؟ هكذا ظل الإخوان وسيظلون أبطالا في المواقف المتقلبة، وأسيادا في التلون والتناقض، فيا لها من جماعة ضمت جميع المضحكات المبكيات (٣).

ومن المواقف المعاصرة التي تجري على الساحة السياسية الآن، أن دولة إيران وعن طريق جماعة الإخوان المسلمين تخطط لإعداد الساحة المصرية ولدعم أهدافهما الإقليمية؛ وذلك من خلال دعمها القوي؛ لوصول الإخوان إلى السلطة في مصر، لا حبا لهم؛ ولكن حتى عن طريقهم

(١) أخرجه الحميدي (٩٩)، وأحمد (٣٨٥، ٤٣٢/١)، والبخاري (٢٢٣/١) كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، (٧٣)

وأطرافه (١٤٠٩، ٧١٤١، ٧٣١٦)، ومسلم (٥٥٩/١) كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة العوذتين (٨١٦٢٦٨)، وابن

ماجه (١٤٠٧/٢) كتاب الزهد، باب الحسد، (٤٢٠٨) والنسائي في الكبرى (٤٢٦/٣) (٥٨٤٠).

(٢) نقلا عن كتاب وفيات مع كتاب للدعاة فقط، لحمد بن سيف العجمي، ص (١١٠).

(٣) الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية، ص (٢٦٩-٢٧٢).

تعرقل أي سياسة معادية لإيران.

### المطلب الخامس: الرد على الإخوان في موقفهم من الخميني: -

أولاً: لعن الخميني لأبي بكر وعمر -رضي الله تعالى عنهما- والرد عليه:

تقوم عقيدة الشيعة الإثني عشرية التي ينتسب إليها الخميني على سب وشتم وتكفير الصحابة.

قال الكليني: في (فروع الكافي) عن جعفر (كان الناس أهل ردة بعد النبي ٣ إلا ثلاثة، فقلت: من الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي). وقال المجلسي: في (حق اليقين) أن مولى لعلى بن الحسين قال له (لي عليك حق الخدمة فأخبرني عن أبي بكر وعمر؟ فقال: إنهما كانا كافرين، الذي يجهما فهو كافر أيضاً). وقال القمي: في تفسير قول الله U ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ )<sup>(١)</sup>، (الفحشاء أبو بكر، والمنكر عمر، والبغي عثمان).

وبلغت استهانة الخميني بأصحاب رسول الله ٣ أن فضل عليهم شعب إيران كما يذكر ذلك في وصيته: (وأنا أزعج بجراحة أن الشعب الإيراني بجماهيره المليونية في العصر الراهن أفضل من أهل الحجاز في عصر رسول الله)<sup>(٢)</sup>.

ويقول هذا الخبيث في سبه لخير الأمة بعد نبيها: (إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين، وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه وما حرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة بنت النبي ٣، ضد أولادها، ولكننا نشير إلى جهلها بأحكام الإله والدين)، ثم يقول في الصفحة الأخرى: (وإن مثل هؤلاء الأفراد الجهال الحمقى، والأفاكين والجائرين غير جديرين بأن يكونوا في موضع الإمامة، وأن يكونوا ضمن أولي الأمر)<sup>(٣)</sup>.

قال مالك (رحمه الله) عن الشيعة: (إنما هؤلاء قوم أرادوا القدح في النبي ٣ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان صالحاً كان أصحابه صالحين)<sup>(٤)</sup>. وفي أوجه التشابه بين اليهود والشيعة الإثني عشرية، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (وآية ذلك أن محنة الشيعة الإثني عشرية محنة اليهود، وذلك أن اليهود قالوا: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الشيعة الإثني عشرية: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي).

(١) سورة النحل الآية ٩٠.

(٢) الوصية السياسية، الخميني، ص (٢٣).

(٣) كشف الأسرار، الخميني، ص (١٢٦، ١٢٧).

(٤) الصارم المسلول (١٠٨/٣).



وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء،  
وقالت الشيعة الإثنا عشرية: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء<sup>(١)</sup>.

قلت:

١ - اليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الشيعة الإثنا عشرية يؤخرون  
المغرب إلى اشتباك النجوم.

والحديث: "لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم"<sup>(٢)</sup>.

٢ - اليهود حرفوا التوراة وكذلك الشيعة الإثنا عشرية حرفوا القرآن.

٣ - اليهود لا يرون المسح على الخفين وكذلك الشيعة الإثنا عشرية.

٤ - اليهود تبغض جبريل يقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك الشيعة الإثنا عشرية  
يقولون غلط جبريل بالوحي على محمد ﷺ.

كذلك الشيعة الإثنا عشرية وافقوا النصارى في خصلة النصارى ليس لنسائهم صداق إنما  
يتمتعون بمن تمتعوا، وكذا الشيعة الإثنا عشرية يتزوجون بالمتعة ويستحلونها.

وفضلت اليهود والنصارى على الشيعة الإثني عشرية بخصلتين: سئلت اليهود: من خير أهل  
ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى،  
وسئلت الشيعة الإثنا عشرية: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ.

ثانيا: اتهام الخميني للشيخين بتحريف القرآن والرد عليه:-

جمهور المفسرين من الشيعة الإثني عشرية على أن القرآن الذي بين أيدينا اليوم ليس هو  
كما أنزله الله ﷻ، والقرآن الصحيح هو الذي جمعه علي بن أبي طالب بإملاء النبي ﷺ، وتوارثه  
الأئمة من بعده إلى أن استقر عند القائم محمد بن الحسن العسكري الغائب في السرداب الذي  
سيخرج ويظهره للناس، وهو لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، أما ما عداه فمحرف مبدل حذف  
منه كل ما ورد صريحا في فضائل آل البيت، وكل ما ورد صريحا في مثالب أعدائهم ومخالفاتهم.

والقول بتحريف القرآن بإسقاط كلمات وآيات وسور قد نزلت، وبتغيير ترتيب الكلمات  
والآيات أجمعت عليه كتب الشيعة من تفاسير وعقائد وكتب أخبار، كما أن أخبار التحريف في  
عقيدة الشيعة مثل أخبار الإمامة يزعمون تواترها، ومن رد أخبار التحريف أو أولها يلزمه رد  
أخبار الإمامة والولاية.

وتروي (أصول الكافي) عن الصادق أيضا أنه قال: (القرآن الذي جمعه علي هو مثل

(١) السنة للخلال (٤٩٧/٣).

(٢) أخرجه الدارمي (١٢١٠)، وابن ماجه (٦٨٩)، وابن خزيمة، ص (٢٤٠).

قرآنكم ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، مكثت فاطمة بعد موت أبيها خمسة وسبعين يوماً صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله، فأرسل الله إليها جبريل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها وعما يحدث لذريتها، وكان علي يستمع ويكتب ما سمع حتى جاء به مصحفاً قدر القرآن ثلاث مرات ليس فيه شيء من حلال وحرام ولكن فيه علم ما يكون<sup>(١)</sup>.  
كما يروي الكليني في (الكافي) أيضاً عن أبي عبد الله الصادق (أن القائم يخرج المصحف الذي كتبه علي، وأن المصحف غاب بغيبة الإمام)<sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى ما في هذه الأخبار من التدافع؛ فإن الخبر الأول يسمي ما جمعه علي قرآناً، مع أنه صريح في أنه ليس فيه شيء من حلال وحرام، وإنما فيه علم ما يكون، فهو إذاً غير قرآن، علي أنه أيضاً من كلام جبريل لفاطمة في تعزيتها وتسليتها، علي فرض تسليم ذلك من أساسه!

ولكن الشيعة يستدلون بذلك علي التحريف، وسبحان واهب العقول!  
لم يدر الشيعة بذلك أنهم فتحوا فتقاً في الإسلام لا يمكن رتقه أبداً، ويعطون بذلك لأعداء الإسلام معاول هدمه، وبعد أن كان أقوى حصن لحماية الإسلام سلامة القرآن من التحريف والتبديل، أصبح هذا الحصن مصدع البنيان في نظر الطاعنين عليه بما تذكره الشيعة في ذلك، حيث يحسبونهم علي أبناء الإسلام وأتباع القرآن.

وقديماً قال ابن حزم: (وأما قولهم -أي اليهود والنصارى- في دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض ليسوا من المسلمين. إلخ)<sup>(٣)</sup>.

لم يجد ابن حزم بداً من ذلك لما رأى أن القول بتحريف القرآن وتبديله لا تحتمله عقيدة الأمة بحال فإن من يطعن في الكتاب الذي هو أصل عقيدته لا يتصور أنه علي دين ذلك الكتاب.  
والخميني يتهم الصحابة بتحريف القرآن، في قوله: (أولئك -الصحابة- الذين لم يكن يهمهم إلا الدنيا والحصول علي الحكم، دون الإسلام والقرآن، والذين اتخذوا القرآن مجرد ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة: قد سهل عليهم إخراج تلك الآيات من كتاب الله U التي تدل علي خلافة علي t بلا فصل، وعلى إمامة الأئمة وكذلك تحريف الكتاب السماوي، وإقصاء القرآن عن أنظار أهل الدنيا علي وجه دائم، بحيث يبقى هذا العار في حق القرآن والمسلمين إلى يوم الدين، إن مهمة التحريف التي يوجهونها إلى اليهود والنصارى إنما هي ثابتة عليهم<sup>(٤)</sup>).

وقد ذكر الندوي في ترجمته لبعض نصوص كشف الأسرار ما يتضمن مجاهرة الخميني بهذا

(١) أصول الكافي، ص (١١١).

(٢) المرجع السابق، ص (١١١).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٨/٢).

(٤) من كشف الأسرار، ص (١١٤) للخميني نقلاً عن صورتان متضادتان، ص (٥٨).

الكفر<sup>(١)</sup>.

وفي النص المترجم الذي بين يدي من كشف الأسرار يجيب الخميني على من يقول: لماذا لم يذكر الأئمة في القرآن، بقوله: (إن الذين لم يكن ارتباطهم بالإسلام والقرآن إلا لأجل الرئاسة والدنيا، وكانوا يجعلون القرآن وسيلة لمقاصدهم الفاسدة، كان من الممكن أن يحرفوا هذا الكتاب السماوي في حالة ذكر اسم الإمام في القرآن وأن يمسخوا هذه الآيات منه وأن يلصقوا وصمة العار هذه على حياة المسلمين)<sup>(٢)</sup>.

فهو هنا لم يصرح بوقوع التحريف إلا بالتلميح، ولكنه يزعم صراحة أنه بإمكان أحد من الناس تحريف كتاب الله، وفي هذا تكذيب لقول الله ﷻ (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)<sup>(٣)</sup>.

لقد اجتمعت كتب الشيعة على القول بتحريف القرآن سواء كان تحريفا في التنزيل أو في التأويل، وامتلاء كتبهم بهذه الأخبار التي ينسبونها لآل البيت خاصة كتاب الكافي للكليني أصح كتب أخبارهم، ودعواهم تواترها وربطهم بينها وبين عقيدة الولاية والإمامة.. إلخ.

ومن المقرر في عالم الشيعة أنه لا يتصور لفظ شيعة بدون هذه الخاصية، ولما كانت الشيعة حريصة على ذلك فإنهم جهدوا في استخراج الأدلة من القرآن على إمامة أهل البيت، ولما لم يجدوا في القرآن شيء يخدمهم عمدوا إلى القرآن فألصقوا به قسمة التحريف والقول بالباطن، وكلا الأمرين كما هو صريح كلامهم يدور في فلك الولاية والإمامة، فلا تكاد تجد مثالا في أخبار الباطن أو في أخبار التحريف خبرا واحدا يخدم المعتزلة أو الخوارج أو غيرهم من الفرق، بل كلها تخدم الشيعة الإثنا عشرية فحسب، ولذلك لم تظهر هذه الفرية في فرقة من الفرق حتى عند الباطنية الذين هم أسوأ حالا من الإثني عشرية، فإنهم قالوا بالباطن ولم يدعوا التحريف.

مع العلم بأن هذه الفرية تقدم الإسلام فضلا عن القرآن فضلا عن كرامة آل البيت الكرام من أساسها؛ لأن القرآن هو أساس العقيدة، وإذا ذهب الأساس انهار على إثره بناء الإسلام الشامخ، وضاع أهل البيت سدى، بل أخف ما في هذه الفرية من المفاسد ما يلي:

١ - اتهام الله ﷻ بإخلاف وعده حيث قال (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)<sup>(٤)</sup>.

فإن الله ﷻ ما عين أحدا على حفظ كتابه، لا نبيا معصوما ولا إماما موهوما، لكنه وعد وعدا مؤكدا بعدة مؤكدات أنه هو الذي يحفظه ويتولى ذلك بنفسه، والشيعة تقول: إنه بدل وحرف، فلزم عليهم أن الله ﷻ أخلف وعده، وحاس بعهده، وغلب على أمره، ونعوذ بالله من ذلك الخذلان.

(١) ينظر: صورتان متضادتان، ص (٥٨).

(٢) كشف الأسرار، ص (١١٤).

(٣) سورة الحجر الآية ٩.

(٤) سورة الحجر الآية ٩.

٢ - اتهام النبي ﷺ بالتقصير حيث بلغه إلى علي فقط، مما ترتب عليه ضياع القرآن الصحيح وتبعد الناس بهذا القرآن المحرف، ولو بلغه النبي إلى الأمة كافة لما وقع هذا التحريف، ثم إن تبليغه إلى علي وحده لا يكفي؛ لأن عليا ليس هو الأمة التي أرسل إليها النبي ﷺ، إذ لا يعدو أن يكون فردا واحدا منها، ودعوى عصمته هنا غير ناهضة، لما ثبت أنه لم ينشر ذلك القرآن الذي خص بتبليغه من بين سائر المسلمين فأين ذهب ذلك القرآن الصحيح من بعد وفاة النبي ﷺ إلى اليوم؟

٣ - الطعن على علي نفسه لأنه تسبب في ضياع القرآن الصحيح، وترك الأمة تحبط في الضلال من أول يوم ألحق فيه النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، ودعوى الشيعة أنه جاء بالقرآن الصحيح إلى أبي بكر فردده، ثم إلى عمر فردده، لا يعفيه من المسؤولية، بل كان يجب عليه أن يجهر به في الجامع، فقد ثبت عند الشيعة وأهل السنة أنه كان يراجع عمر في مسائل كثيرة فيرجع عمر إلى رأيه ويثني عليه، حتى اشتهر عنه أنه كان يقول: (قضية ولا أبا حسن لها)، كل ذلك لا يعني عليا من المسؤولية وتذرع الشيعة بالتقية خوفا على نفسه لا يجدي أيضا، فإن علي قد آلت إليه الخلافة ولو كان شيء من ذلك صحيحا لكان أوجب الحقوق عليه أن يصوب ما أخطأ فيه غيره وأن يظهر ذلك القرآن الصحيح ويحرق ما عداه؛ لأن القرآن أساس الدين وركنه الركين، ثم ما عذر الحسن من بعده أيضا وقد آلت إليه الخلافة بعد أبيه؟.

٤ - الطعن على العصر الأول بأنه رد البعض مما نزل وحرف البعض الآخر، وهذا كفر صريح ممن صدر منه مثل ذلك.

٥ - فقد الثقة بالقرآن المتداول بين الأمة، وتكفيرها لتعبدها بقرآن ليس على ما أنزل الله ﷻ، مع فتح أبواب الطعن لأعداء الإسلام وإعطائهم معاول هدمه.

ولا شك أن من اعتقد واحدة من هذه الخمس فهو كافر خارج عن الملة، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم لقيام الأدلة القطعية من النقل والعقل على خلافها.

لكن الشيعة لا تعنيهم هذه الأمور في شيء، وإنما الذي يعنيهم هو ولاية الأئمة فحسب، ولو كان ذلك على هدم الإسلام والقرآن؛ لأنهم في أصل نشأتهم قوم مجوس تعودوا أن تكون ولاية العهد في أهل بيت معين، لهم صلة روحية بالإله، معصومون عن الخطأ، ولم يعرفوا أن الإسلام جاء لهدم هذه العقائد الفاسدة والإتيان على بنائها من القواعد، وتوجيه الخلق إلى الخالق، وربط العباد بالله الواحد القهار.

إن أخبار التحريف لا يشك آدمي في أنها من كذب الشيعة على الله ورسوله والأئمة من آل البيت، بل إن شئت فقل: إنها أشبه بالمقترحات الشيعة لتعديل النصوص القرآنية على وفق ما يعتقدون، وهي تصوير دقيق لسذاجة الشيعة وفساد دينهم فهل يتصور عاقل أن يخاطب الله عبدة

الأوثان بأنهم أشركوا في ولاية علي وكفروا بها دون أن يخاطبهم بشأن الشرك في الألوهية والكفر بها؟ وأين كان شركهم في ولاية علي، وهو لم يل الأمر بعد حتى يشركوا في ولايته؟ وهل يمكن أن يتصور إنسان أن كل ما أنزل الله على رسوله محمول على ما أنزله في شأن علي وولايته! وأن كل ظلم في القرآن فهو لآل محمد، وهم لم يولدوا بعد، وكل مدح فهو لآل البيت وكل ذم فهو لخاصة أصحاب محمد ٣ وهكذا؟

إنه لدين عقيم ورسالة ساذجة وكتاب تافه إذا في معيار الرسائل السماوية ذات الأهداف النبيلة والمقاصد السامية، وما يستحق أن يكون مهيمنا على ما قبله من كتب!.

ثالثاً: التفسير الباطني للقرآن الكريم عند الحميني والرد عليه:-

يفسر الحميني القرآن تفسيراً باطنياً فيقول مفسراً قول الله U (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨))<sup>(١)</sup> فأمر الله الرسول ٣ برد الأمانة - أي: الإمامة - إلى أهلها، وهو: أمير المؤمنين، وعليه هو أن يردها إلى ما يليه، وهكذا)<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (هذا تأويل كاذب وباطني خبيث بل قال العلماء: إن هذه الآية نزلت في ولاية الأمور فعليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة)<sup>(٣)</sup>.

أخرج الطبري عن زيد بن اسلم قال: نزلت هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)) في ولاية الأمور وهو قول علي t<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: بعد أن أورد الأقوال في الآية (وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قول من قال: هو خطاب من الله لولاية أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية، يدل على ذلك ما وعظ به الرعية في (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ

(١) سورة النساء الآية: ٥٨.

(٢) الحكومة الإسلامية، ص (٨١)، والجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، ص (٣١٦).

(٣) السياسة الشرعية، ابن تيمية، ص (٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٤٤٥/٥)، والحرر الوجيز (١٠٨/٤)، والبحر المحيط (٢٨٩/٣)، وتفسير القرطبي (١٦٥/٥).

خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩))<sup>(١)</sup>، فأمرهم بطاعتهم وأوصى الراعي بالرعية وأوصى الرعية بالطاعة<sup>(٢)</sup>.

والقول بخصوصية الخطاب في الآية لولادة الأمر قول يحتاج إلى الدليل، وظاهر الآية العموم. قال الحافظ ابن كثير (رحمه الله): (يخبر الله تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك"<sup>(٣)</sup>، وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله ﷻ على عباده من الصلوات والزكوات والكفارات والنذور والصيام وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتون فيه بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك. فأمر الله تعالى بأدائها، فمن يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها، حتى يقتص للشاة الجماء"<sup>(٤)</sup> من القرآن<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.

وحجر الزاوية في العقيدة الشيعية هو القول بفكرة (الظاهر والباطن) وهي تعني وجوب تأويل القرآن تأويلا باطنيا، وكان التأويل هو الأساس الذي ارتكزت عليه الدعوة الشيعية والباطنية في رؤيتها للدين، مما نتج عنه قولهم بشائية الحقيقة الدينية بين ظاهرة وباطنة، يقول الشهرستاني: (وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا)<sup>(٧)</sup>. ثم بين أن لهم ألقابا أخرى فهم (بالعراق يسمون الباطنية والقرامطة، والمزدكية، وبخراسان: التعليمية والملحدة، وهم يقولون: نحن الإسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم، وهذا الشخص)<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة النساء الآية ٥٩.

(٢) تفسير الطبري (١٤٥/٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٩٠/٣) كتاب البيوع: باب في الرجل يجد عين ماله عند رجل حديث (٣٥٣٥) والترمذي (٥٦٤/٣) كتاب البيوع: باب (٣٨) حديث (١٢٦٤) والحاكم (٤٦/٢) والدارمي (٢٦٤/٢) والخراطي في (مكارم الأخلاق) (٣٠) كلهم من طريق طلق بن غنام عن شريك وقيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقد استنكر أبو حاتم الرازي هذا الحديث فقال ابنه في (العلل) (٣٧٥/١) رقم (١١١٤): وسمعت أبي يقول طلق بن غنام هو ابن عم حفص بن غياث روى حديثا منكرا عن شريك وقيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك قال أبي ولم يرو هذا الحديث غيره.

(٤) الشاة الجماء التي لا قرنين لها. الفائق في غريب الحديث (٢٣٤/١).

(٥) القرناء ذات القرنين. الفائق في غريب الحديث (٢٣٤/١).

(٦) تفسير ابن كثير (٢٠٦/٢)، والحديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، رقم: (٢٥٨٢).

(٧) الملل والنحل، للشهرستاني (١٩٢/١).

(٨) السابق.

قال ابن الجوزي (رحمه الله): متحدثا عن دواعي ومقتضيات المنهج الباطني: (اعلم أن القوم أرادوا الانسلاخ من الدين فشاؤروا جماعة من الجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نأجهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع وتكذيب الرسل ووجد البعث، وزعمهم أن الأنبياء محرقون منمسون، ورأوا أمر محمد قد استطار في الآفاق وأنهم قد عجزوا عن مقاومته، فقالوا: سبيلنا أن نتحل عقيدة طائفة من فرقهم: أركهم عقلا، وأسخفهم رأيا، وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب، وهم الروافض، فنتحصن بالانتساب إليهم ونودد إليهم بالحنن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة، فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوه، فأمكن استدراجهم إلى الخلاع من الدين، فإن بقي منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أو همناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وأن المنخدع بظواهرها أحق، وإنما الفطنة في اعتقاد بواطنها ثم نبث إليهم عقائدنا، ونزعم أنها المراد بظواهرها عندهم، فإذا تكشروا بمؤلاء سهل علينا استدراج باقي الفرق)<sup>(١)</sup>.

قال ابن الجوزي (رحمه الله): متحدثا عن خطتهم وبيان مقصدهم وغرضهم من هذه الخطة (ثم قالوا: وطريقنا أن نختار رجلا ممن يساعد على المذهب ويزعم أنه من أهل البيت، وأنه يجب على كل الخلق كافة متابعتة ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله، والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله U، ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذي وسماه بالعصمة، فإن قرب الدار يهتك الأستار، وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حالة الإمام، أو يطلع على حقيقة أمره، وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديما، فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم)<sup>(٢)</sup>.

والخلاصة:- أن التفسير الباطني عند الشيعة قد حوى من البلايا ما يلي:

- ١ - الطعن على صحابة رسول الله ﷺ بطريقة مكشوفة تنم عن حقد دفين وبغض مشين لهم، ومحاولة إيجاد ثغرة من القرآن تخدم الشيعة في ذلك بأي وسيلة وهيئات لهم ذلك! فإن صريح الآيات تعتبر أوسمة شرف للصحابة ناطقة بفضلهم أبد الدهر رغم أنف الشيعة.
- ٢ - التفسير الباطني: تحريف ظاهر لكتاب الله لا دليل عليه من عقل أو نقل، بل الدليل على خلافه ولقد ذهبت به الشيعة مذهب اليهود والنصارى في كتبهم.

(١) تلييس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص (١٠٦، ١٠٧).

(٢) السابق .

٣- ما تذرعت به الشيعة في ذلك من كون هذا التفسير سائغا لغة من قبيل المجاز أو نحوه قد تبين بطلانه ومغالطة الشيعة في ذلك واضحة وأنهم أرادوا ترويح هذه الأباطيل بهدم معاني الكلمات وتحطيم لغة القرآن من غير وازع من دين أو خلق.

٤- أوضح لنا التفسير الباطني غلو الشيعة في الأئمة من آل البيت غلوا فاق كل تصور وهذا ما يرفضه الإسلام ويهدمه صريح القرآن.

٥- وضح لنا التفسير الباطني عند الاثني عشرية مدى الترابط بينهم وبين ملاحدة الباطنية فالمشرب واحد، وما ترتب على دعوة الباطنية يمكن أن يترتب على هذا التفسير الباطني سواء بسواء وقد أثبت لنا التاريخ ما وقع من جراء هذه النزعة ممثلا في البابية والبهائية والقاديانية وما جروه على المسلمين من بلاء.

٦- أوضح لنا المفسرون من الشيعة بهذا التفسير الباطني كيف يضل علماء الشيعة أتباعهم ويلبسون عليهم دينهم باختلاق هذه الأكاذيب افتراء على الله ورسوله والعترة من آل بيته، فحجبوا بذلك نور القرآن وضيائه عن قلوب الناس.

٧- لجأت الشيعة إلى هذه المعاني الباطنية لما لم تجد في ظاهر القرآن ما يخدمهم في قليل ولا كثير فزعمت أن له بطنا وضعوا من خلاله ما أرادوا وضعه من عقائدهم، بل زعموا أن ذلك لازم لما علمه الله من وقوع تحريف في القرآن، وهذه فرية أخرى.

رابعاً: تأليه الخميني لأهل البيت والرد عليه:-

ومن الطامات العقدية التي ابتليت بها الأمة ما قاله وكتبه الرافضي الخبيث الخميني إذ يخلع على الأئمة من آل البيت صفات الإله، وآل البيت براء من قوله وأفعاله، حيث قال الخميني (فض الله فوه): (نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة للفقهاء لا يزال محفوظاً لهم، لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين، كانوا على علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم)<sup>(١)</sup> وقال أيضاً (فض الله فوه): (وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل)<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: (الأئمة يمتازون على سائر البشر في فهم الكتاب والسنة، وأنهم كذلك مشرعون إذ كلام المعصوم بمنزلة حديث رسول الله ﷺ كيف لا وأن للأئمة مقاما لا يقربه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأن لهم حالات مع الله لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: الحكومة الإسلامية، ص (١٩).

(٢) السابق، ص (٥٢).

(٣) ينظر: الحكومة الإسلامية للخميني، ص (٥٢).



وقال أيضاً: (ولاية أهل البيت عليهم السلام شرط في قبول الأعمال عند الله سبحانه بل هو شرط في قبول الإيمان بالله والنبي الأكرم ٣)<sup>(١)</sup>.

وقال (شيطانهم) الزنجاني: (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون، مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر)<sup>(٢)</sup>.

وقال الخميني: (ومنها أن الأئمة عليهم السلام لامتيازهم الذاتي من سائر الناس في فهم الكتاب والسنة بعد امتيازهم منهم في سائر الكمالات فهموا جميع التفريعات المتفرعة على الأصول الكلية التي شرعها رسول الله ٣ ونزل بها الكتاب الإلهي ففتح لهم من كل باب فتحة رسول الله ٣ للأئمة ألف باب حين كون غيرهم قاصرين<sup>(٣)</sup>، فعلم الكتاب والسنة وما يتفرع عليهما من شعب العلم ونكت التنزيل موروث لهم خلفاً عن سلف وغيرهم محرومون<sup>(٤)</sup> بحسب نقصانهم عن هذا العلم الكثير النافع فيقولون على اجتهداهم الناقص من غير ضبط الكتاب والسنة تأويلاً وتنزيلاً ومن غير الرجوع إلى من رزقه الله U علمهما وخصه به فترى آية واحدة كآية الوضوء كيف اختلف فهم مع غيرهم وقس على ذلك، وهذا باب واسع يرد إليه نوع الاختلافات الواقعة في الأمة ولقد أشار إلى ما ذكرنا كثير من الروايات في الأبواب المختلفة.

فالصوارف التي في لسانهم عليهم السلام يمكن صدور كثير منها من رسول الله ٣ منفصلاً عن العمومات والمطلقات ولم يضبطها على ما هي إلا خازن علمه أمير المؤمنين وأودعها إلى الأئمة عليهم السلام وإنما آخر البيان إلى زمن الصادقين عليهما السلام لابتلاء سائر الأئمة المتقدمين عليهما ببليات كثيرة سد عليهم لأجلها بين الأحكام كما يشهد به التاريخ)<sup>(٥)</sup>.

ويقصد الخميني أن المصائب والحن التي أصابت الأئمة السابقين حالت دون تبليغ الناس كافة الأحكام التي نزلت على رسول الله ٣ وعلى افتراض أن ذلك صحيح فهل هذا مبرر لإخفاء الأحكام عن الخلق وكيف لا يتأسون برسول الله ٣ فقد لاقى ٣ من الحن والمصائب ما يفوق مصائب ومحن الأئمة فما فتر عن تبليغ الخلق أحكام ربهم U لا أن يكتموا العلم ويدعوا الجهل يتفشى بين الناس، والثابت أن ما يتشدد به الشيعة من أن الخلفاء المسلمين اضطهدوا الأئمة على حد زعمهم غير صحيح، وكيف يقف الخلفاء في وجه من يريد أن يعلم الرعية أحكام

(١) الأربعون حديثاً، ص (٥١٠).

(٢) ينظر: عقائد الإثني عشر (٧٥١/٢).

(٣) يقصد الصحابة وعلماء أهل السنة جميعهم.

(٤) أهل السنة وعلمائهم.

(٥) ينظر: الحكومية الإسلامية، ص (٢٧).

دينهم فما بالك إذا كانوا من أهل بيت النبي ٣.

قال شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله): (والقاعدة الكلية في هذا: ألا نعتقد أن أحدا معصوم بعد النبي ٣ بل الخلفاء يجوز عليهم الخطأ)<sup>(١)</sup>.

ما دليل الشيعة على قولهم بعصمة الأئمة؟

الظاهر أنه لا دليل لهم من كتاب أو سنة، وإن زعموا التواتر عن النبي ٣، قلنا هو كالتواتر على إمامتهم سواء بسواء، وقد ثبت بطلان النص على الإمامة فبطل ما بني عليه من العصمة والأمة لا تعلم نصا على إمامة ولا عصمة وإنما ثبت لديها النقيض بما لا شك فيه.

وإن قالوا إجماع الطائفة على عصمتهم، قلنا: الإجماع عندكم ليس بحجة إلا أن يدخل الإمام المعصوم في الجميع، ودخول الإمام في الجميع للدلالة على عصمته هو كالنص منه على عصمته كلاهما دور ظاهر وهو باطل باتفاق<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: يلزم نظيره في عصمة الأنبياء إن أخبر النبي بعصمته.

قلنا: الأنبياء قد أيدوا بالمعجزات الباهرة الدالة على صدقهم، وأنى للأئمة ذلك؟

فإن قالوا: اتفقت جميع فرق الإسلام على نفي العصمة عن الصحابة، واتفقوا جميعا على إثبات فضل أهل البيت، واختلفنا معشر الشيعة معكم في الصحابة حيث نفينا الفضل عن الصحابة بل قلنا بكفرهم أو فسقهم، فكان الإجماع منا ومنكم على فضل الأئمة فهذا دليل العصمة: قلنا: هذه مثل دعوى اليهود في الاحتجاج على المسلمين والنصارى حيث قالوا بثبوت نبوة موسى بالإجماع من الديانات الثلاث، بخلاف نبوة عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم. أو مثل قول النصارى للمسلمين: إنكم تتفقون معنا على نفي الألوهية عن محمد، وتتفقون معنا على فضل عيسى فيكون ما ندعيه في ألوهيته حقا.

نحن نتفق مع اليهود والنصارى على نبوة موسى وعيسى ولكن محمداً نبي وهو أفضل وننفي

(١) مفتاح السنة (٦/٦٩١).

(٢) وخالف في اعتبار إجماع آل البيت حجة جماهير العلماء حيث قالوا بعدم حجته. ورد الجمهور أدلة الشيعة بأدلة غزيرة دقيقة، منها كما قال أمير بادشاه تعقيبا على بعض أحاديث أوردوها لا يخفى أن هذا لا يدل على أن غيرهم ليس من أهل البيت وإنما خصهم بهذا اللف والادعاء لمزيد التكريم لهم ولدفع توهم أنهم ليسوا من أهل البيت لكونهم ساكنين في غير بيته ٣، وأيضا: سلمنا أن المراد بأهل البيت في الآية هو علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم، كما نسلم انتفاء الرجس عنهم، لكن لا نسلم انتفاء عنهم في الدنيا والآخرة، بل هو منفي عنهم في الآخرة فقط لاحتمال أن الله تعالى أراد بالآية رفع العذاب ونفيه عنهم في الآخرة. والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وأيضا: سلمنا أن المراد بأهل البيت هم هؤلاء الأربعة لكن لا يمنع من كون زوجات الرسول أيضا من أهل بيته، فحصر أهل البيت في الأربعة دون زوجات الرسول تحكما لا سند له.

ينظر التفاصيل في: الإحكام (١/١٧٠)، الحصول (٤/٨٦٤)، تيسير التحرير (٣/٢٤٣)، مختصر البعلي، ص (٧٧)، نهاية الوصول (٦/٢٥٨٨)، مبادئ الوصول للحلي، ص (١٥٩)، منهاج الوصول إلى معيار العقول، ص (٦١٩)، إرشاد الفحول، ص (١٢٦)، تحفة المسئول (٢/٢٥٨)، جمع الجوامع (٢/١٧٩).

الألوهية عنه وهي عن عيسى أنفى وأبعد.

وكذلك الحال مع الشيعة فحن نتفق معهم على فضل أهل البيت لكن أبا بكر وعمر وعثمان أفضل، ونفي العصمة عن هؤلاء الثلاثة وهي عن علي وبنيه أنفى وأبعد!

ثم يقال: ما الفائدة في إثبات العصمة هؤلاء؟

إن كانت لنقل الشريعة كما تزعمون فنقل مجموع الأمة أوثق من النقل عن واحد، ودعوى العصمة للأمة في مجموعها أدخل في المعقولات.

ثم إن هؤلاء المعصومين لم يتمكنوا من تبليغ كل الناس فعاد الأمر إلى النقل عنهم، والنقل من جميع طوائف الأمة عن معصوم أجمعت الأمة على عصمته وهو النبي ٣ أولى وأوثق بخلاف النقل من طائفة محدودة عن واحد لم يقل بعصمته إلا تلك الطائفة ولا مزيد!

وإن كانت الحاجة إلى معصوم لدرء الفساد، فما حصل ذلك بل زاد، وقد كان درء الفساد في عهد الخلفاء الراشدين أظهر.

بل إننا لو سلمنا للشيعة بإمامة أهل البيت لما لزم الأمر أن يكونوا معصومين، فإنه لا يلزم أن يكون نائب المعصوم معصوما، فقد كان للنبي ٣ نواب في حياته في اليمن والبحرين وغيرهما ولم يقل أحد بعصمتهم بل كان لعلي نواب في الولايات وكانوا يتصرفون في ولايتهم حسب ما يرونه ولا يرجعون إليه وكانوا لا يدرون بما أمر به الإمام أو نهى ولم يقل أحد إنهم كانوا معصومين؛ بل قد ورد عن علي t أنه أقر عماله وقضاته على ما كانوا عليه زمن إخوانه الراشدين حيث قال لهم: (اقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات عليه أصحابي فإني أكره الاختلاف)<sup>(١)</sup>.

ثم أقول أيضا: إن أوجبتم العصمة في الإمام قطعا للتشاجر والاختلاف على ولاية الأمر، قلنا قد تولى أبو بكر وعمر وعثمان y - وكانوا غير معصومين - ولم يقع التشاجر، فلما تولى المعصوم - بزعمكم - وقع التشاجر والافتتال في صفوف الأمة وفتق في الإسلام رتق لا يرقأ إلى يوم القيامة، وكان أمير المؤمنين يتضجر ويتبرم مما وقع. وقد ورد عنه t ما يبطل هذه العصمة بروايتكم عنه فلم يعد لكم تشبث بالمرّة بهذه المسألة.

قال علي t: (في الكافي) (لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، والفجور يتنافى مع العصمة قطعا)، وقال t: (في الكافي) (لا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل فإني لست آمن أن أخطئ)<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال!

(١) ينظر: المنتقى من منهاج الاعتدال لابن تيمية، ص (٥٢٢).

(٢) الكافي للكليني كتاب الحجة (٢١١/١).

إذا تبين هذا فقد ثبت ألا معصوم بعد رسول الله ﷺ، وهو ما عليه أهل السنة. ونتيجة لإيغالهم في عظام هذه الكبائر راحوا يبيحون لأنفسهم الحرام، فعطلوا شريعة الزكاة وأبدلوها بالخمس (الخاص بغنائم الحرب) وأحلوا الفاحشة بإسم المتعة، وأوجدوا لكل عبادة من العبادات هيئات وأشكال ما أنزل الله بها من سلطان لا يقصدون منها سوى مخالفة أهل الحق من أهل السنة والجماعة فلا تكاد تجد شعيرة من شعائر هذا الدين إلا وغيروها مفسرين القرآن حسب أهوائهم رادين لأحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة بأحاديث من وضعهم.

### المبحث الثالث: غير المسلمين في السياسة الشرعية وسياسة الإخوان:-

#### المطلب الأول: موقف أهل السنة والجماعة من غير المسلمين:-

الأصل في معاملة المسلمين لغير المسلمين هو الدعوة إلى الإسلام فإذا كان من المسلمين قوة فهم يدعون غير المسلمين إلى الإسلام فإن رضوا فهم إخوة للمسلمين في الدين فإن أبوا فعليهم دفع الجزية فإن أبوا فإن المسلمين يقاتلونهم رفعا لكلمة الله وإعلاء لدينه وإزالة للعوائق والطواغيت الذين يمنعون الناس من الإيمان وعلى هذا سار المسلمون جيلا بعد جيل حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعا كبيرا وليس في هذا عداوة وظلم، ولا شك أن هذا الجهاد يكون بحسب قوة المسلمين فهو يسقط للعجز عنه.

كما أن مسالة المسلمين لمخالفيهم في الدين إن جنحوا للسلم أمر يقره الإسلام. لذلك من المبادئ العامة التي قررتها الشريعة في معاملة أهل الكتاب المنع من التعرض لهم متى سالموا، وفي هذا يقول الله ﷻ ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ )<sup>(١)</sup>.

وأجازت مواساتهم وإعانة المنكوبين، وأباححت الاختلاط بهم ومصاهرتهم، قال الله ﷻ (الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ )<sup>(٢)</sup>.

وهذا البيان الإلهي يوقفنا على أن العلاقة مع المخالفين دائما وأبدا تكون حيث أذن الشرع، فيأمرنا أن نقسط إليهم ما داموا لم يرفعوا سيفاً، ولم يفتنوا مسلماً عن دينه ولم يقتلوا مسلماً، ولم يعتدوا على من كان في عهد المسلمين؛ إضافة إلى ذلك فإن الإسلام قد دعا إلى السلم في كافة

(١) سورة المتحنة الآية ٨.

(٢) سورة المائدة الآية ٥.

الأحوال، فمن يلقي السلام لا يجوز أن يقاتل بدعوى أنه غير مؤمن، ولا يصح أن يتعرض لأذى أو يكون محلاً لأن يصاب بأي ضرر، قال الله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤))<sup>(١)</sup>

لذلك قرر العلماء أن من السياسة إثارة السلم والمواذعة على الحرب والمنازعة، فالسلم باب السلامة وسبب الاستقامة، وأن الدخول على الحرب هو عند الاضطرار إليها<sup>(٢)</sup>.

قال الماوردي: (وليجعل محاربتهم آخر مكائدهم، فإنه ينفق في المكائد من الأموال، وينفق في المحاربة من النفوس)<sup>(٣)</sup>.

ويقول النبي ٣: "أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا"<sup>(٤)</sup>، بيد أن الفقهاء اشترطوا جملة من الشروط التي أوجبها الفقه الإسلامي التزام أهل الكتاب بها ومن سن سننهم أبرزها ما يلي:

#### ١ - الجزية:-

قال ابن القيم (رحمه الله): (أما سبب وضع الجزية فهو قول الله U ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩))<sup>(٥)</sup> )<sup>(٦)</sup>.

وقال أيضاً: (والمسألة مبنية على حرف، وهو أن الجزية: هل وضعت عاصمة للدم، أو مظهراً لصغار الكفر، وإذلال أهله، فهي عقوبة؟)<sup>(٧)</sup>.

فمن راعى فيها المعنى الأول قال: لا يلزم من عصمها لدم من خف كفره بالنسبة إلى غيره -وهم أهل الكتاب- أن تكون عاصمة لدم من يغلظ كفره، ومن راعى فيها المعنى الثاني قال: المقصود إظهار صغار الكفر وأهله وقهرهم، وهذا أمر لا يختص أهل الكتاب؛ بل يعم كل كافر.

قالوا: وقد أشار النص إلى هذا المعنى بعينه في قوله تعالى: ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى

(١) سورة النساء الآية ٩٤.

(٢) ينظر: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، القلعي، ص (٢٢٥).

(٣) ينظر: تسهيل النظر، الماوردي، ص (٢٨٠)، وتهذيب الرياسة، القلعي، ص (٢٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٠/٦)، في الجهاد، باب كان النبي ٣ إذا لم يقاتل (٩١٥ - ٢٩٦٦)، ومسلم (١٣٦٢/٣، ١٣٦٣)، في كتاب الجهاد، باب: كراهة تمني لقاء العدو (١٧٤٢/٢٠).

(٥) سورة التوبة الآية ٢٩.

(٦) ينظر: أحكام أهل الذمة (٧٩/١).

(٧) أحكام أهل الذمة (١٠٥/١).

يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ<sup>(١)</sup> فالجزية صغار وإذلال؛ ولهذا كانت بمنزلة ضرب الرق.

وقد بين ابن القيم أن سبب وضع الجزية أحد أمرين:

إما عصمة الدم وتوفير الأمن لهؤلاء في بلاد الإسلام.

وإما إظهار الصغار والمذلة لأهل الكفر.

وأشار ابن القيم إلى ترجيح المعنى الثاني، ومال بعض الفقهاء إليه، أعني أن سبب الجزية

إلحاق الصغار والإذلال بأهل الشرك؛ إذ ينبغي أن تؤخذ الجزية على وصف الذل والصغار كما دلت الآية الكريمة<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - عدم حمل السلاح:-

السيوف عز لأهلها وسلطان، وقد قال رسول الله ﷺ "بعثت بالسيوف بين يدي الساعة حتى

يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم"<sup>(٣)</sup>.

وقد بين ابن القيم أن أهل الذمة يمتنعون من تقلد السيوف؛ إذ في تقلدها عزة لهم وهم ليسوا

من أهل العزة، بل هم من أهل الصغار؛ إذ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وعلى هذا اتفق فقهاء الأمة: أبو حنيفة<sup>(٤)</sup>، ومالك<sup>(٥)</sup>، والشافعي<sup>(٦)</sup>، وأحمد<sup>(٧)</sup>.

وقد روى الخلال بإسناده أن عمر أمر بجز نواصي أهل الذمة وأن يشدوا المناطق وأن يركبوا

الأكف بالعرض، ويمنعوا تقلد السيوف، وحمل السلاح واتخاذ<sup>(٨)</sup>.

## ٣ - أن عهدهم ينتقض بسبب الله أو رسوله أو دينه:-

قال تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)<sup>(٩)</sup>.

قال ابن القيم (رحمه الله): (فلا يجوز الإمساك عن قتالهم إلا إذا كانوا صاغرين حال إعطاء

(١) سورة التوبة: الآية (٢٩).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٥/١٦)، تفسير القرطبي (٤٣٠/١)، الاختيار (١٣٩/٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥٠/٢)، من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعاً، دون زيادة قوله ﷺ: "بين يدي الساعة"، وابن

أبي حاتم واللفظ له في علل الحديث (٣١٩/١)، برقم (٩٥٦)، من حديث أبي هريرة **t** مرفوعاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): سنده جيد.

(٤) ينظر: المبسوط (٨٨/١٠)، فتح القدير (٦٠/٦)، البحر الرائق (١٢٣/٥).

(٥) ينظر: الكافي لابن عبد البر ص (٢١٨).

(٦) ينظر: روضة الطالبين (٣٢٥/١٠).

(٧) ينظر: المغني لابن قدامة (٢٨٨/٩).

(٨) السابق، (٢٨٨/٩)، وأحكام أهل الذمة (١٢٧٧/٣).

(٩) سورة التوبة الآية ٢٩.

الجزية. والمراد بإعطاء الجزية: من حين بذلها أو التزامها إلى حين تسليمها وإقباضها؛ فإنهم إذا بذلوا الجزية شرعوا في الإعطاء، ووجب الكف عنهم إلى أن نقبضها منهم، فمتى لم يلتزموها أو التزموها وامتنعوا من تسليمها لم يكونوا معطين لها؛ فليس المراد أن يكونوا صاغرين حال تناول الجزية منهم فقط، ويفارقهم الصغار فيما عدا هذا الوقت؛ هذا باطل قطعاً. وإذا علم هذا؛ فمن جاهرنا بسب الله ورسوله، وإكراه حريمنا على الزنى وتحريق جوامعنا ودورنا، ورفع الصليب فوق رءوسنا، فليس معه من الصغار شيء؛ فيجب قتاله بنص الآية حتى يصير صاغراً<sup>(١)</sup>.

جاء رجل إلى عبد الله بن عمر فقال (سمعت راهباً يشتم رسول الله ﷺ؛ فقال عبد الله: (لو سمعته أنا لقتلته؛ إنا لم نعطه الأمان على هذا)<sup>(٢)</sup>.

قال السيوطي (رحمه الله): (قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (لو سمعته أنا لقتلته) يدل على إباحته دم الذمي الساب لرسول الله ﷺ، وإباحة دمه دليل على نقض العهد، وسيدنا عبد الله بن عمر قال هذا وليس يعرف له مخالف من الصحابة رضوان الله عليهم؛ فكان هذا إجماعاً على نقض العهد بسب الرسول ﷺ وسب الله ودينه من باب أولى<sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: ما ورد عن رسول الله ﷺ يخالف ذلك؛ وذلك بما روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك قالت عائشة: ففهمتها فقلت: عليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: "مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت: يا رسول الله: ألم تسمع ما قالوا؟ فقال: قد قلت: وعليكم"<sup>(٤)</sup>. فلا شك أن هذا سب منهم له ﷺ، ولو كان نقضاً للعهد لقتلهم لصيرورهم حربيين<sup>(٥)</sup>.

والجواب عن هذا من جهتين:-

الجهة الأولى:- أنهم قالوه ذماً ولم يقولوه شتماً.

الجهة الثانية:- أن هذا كان في ضعف الإسلام ولم يكن في قوته، فحال قوة الإسلام يخالف حال الضعف<sup>(٦)</sup>.

إن موجب عقد الذمة ترك أذى المسلمين، وسبهم الله أو رسوله أو دينه أو زناهم بمسلمة ونحو ذلك يمثل إيذاء كبيراً؛ ومن ثم يكونون قد أحلوا بعقد الذمة؛ حيث انعدم الأمن من جانبهم

(١) أحكام أهل الذمة (٣/١٣٧٧).

(٢) ينظر: الحاوي (٤/٣٨٤).

(٣) السابق، (٤/٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٣/١٠) كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، حديث (٦٠٢٤)، ومسلم (٤/١٧٠٨) كتاب السلام،

باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام (١٠/٢١٦٥).

(٥) ينظر: البحر الرائق (٥/١٩٤).

(٦) ينظر: الحاوي (٤/٣٨٤).

فيبطل عهدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إنه لا خلاف بين المسلمين أنهم ممنوعون من إظهار السب وأنهم يعاقبون عليه إذا فعلوه بعد النهي؛ فعلم أنهم لم يقرؤا عليه كما أقرؤا على ما هم عليه من الكفر، وإذا فعلوا ما لم يقرؤا عليه من الجنايات استحقوا العقوبة بالاتفاق.

وعقوبة السب إما أن تكون جلدا أو حبسا أو قطعاً أو قتلا، والأول باطل؛ فإن مجرد سب الواحد من المسلمين أو سلطان المسلمين موجب الجلد والحبس، فلو كان سب الرسول كذلك، استوى من سب الرسول ومن سب غيره من الأمة، وهو باطل بالضرورة، والقطع لا معنى له فتعين القتل، والقياس الجلي يقتضي أنهم متى خالفوا شيئا مما عاهدوا عليه انتقض عهدهم<sup>(١)</sup>.

وهذا واضح جلي على أن إتيان شيء مما سبق يوجب نقض العهد، والقول بغير ذلك يفتح الباب على مصراعيه للتطاول على الإسلام والمسلمين، فضلا عن منافاة الصغار المطلوب بنص الآية الكريمة؛ حيث إن من جاهرنا بسب الله ورسوله أو قام بإكراه نساءنا على الزنى لا يكون معه من الصغار شيء؛ فيجب قتاله حتى يرد إلى الصغار الذي كان عليه قبل إتيان هذه المخطورات.

#### ٤ - عدم إظهار شعائرهم الكفرية:-

قال ابن القيم (رحمه الله): (لما كان الصليب من شعائر الكفر الظاهرة كانوا ممنوعين من إظهاره، قال أحمد بن حنبل في رواية: ولا يرفعوا صليبا، ولا يظهروا خنزيرا، ولا يرفعوا نارا ولا يظهروا خمرا، وعلى الإمام منعهم من ذلك)<sup>(٢)</sup>.

#### والدليل على ذلك ما يلي:-

١ - جاء في الشروط العمرية التي اشترطها عمر على أهل الذمة في البلاد المفتوحة:-  
(إنا شرطنا لك على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا، ولا نظهر عليها صليبا)<sup>(٣)</sup>.

٢ - ما رواه عبد الرزاق عن معمر بن عمرو بن ميمون بن مهران قال: كتب عمر بن عبد العزيز أن يمنع النصارى في الشام أن يضربوا ناقوسا، ولا يرفعوا صليبههم فوق كنائسهم، فإن قدر

(١) ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣٩٩/٢).

(٢) أحكام أهل الذمة (١٢٤٠/٣).

(٣) تاريخ مدينة دمشق للحافظ: ابن عساكر، دار الفكر سنة ١٤١٥ هـ (١٢٠/٢)، ورواه البيهقي في الكبرى (٢٠٢/٩) وإسناده ضعيف جدا؛ لأن فيه: يحيى بن عقبة، وقد قال ابن معين عنه: ليس بشيء، وفي رواية: كذاب حيث عدو الله، وقال البخاري: =منكر الحديث، وقال أبو حاتم: يفتعل الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، الضعفاء والمتروكين، للإمام: أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة (٣٠١ هـ) نشر: دار الوعي، حلب، سنة ١٣٦٩ هـ الطبعة الأولى، ص (٢٤٩)، الجرح والتعديل (١٧٩/٩)، التاريخ الكبير، للإمام: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، (٢٨٦/٥)، إرواء الغليل، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني ط، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥ هـ (١٠٤/٥).



على من فعل من ذلك شيئاً بعد التقدم إليه، فإن سلبه لمن وجدته<sup>(١)</sup>.

وبالجملة، فإن الإسلام لا يرفع السلاح إلا إذا حال الناس بينه وبين دعوته، أو اعتدوا على الله تعالى أو نبيه أو دينه بالسب أو القذف أو الرمي بالبهتان أو غير ذلك، أو انتهكوا حرمة المسلمة بالإكراه أو رفع السلاح ضده، والإسلام يقرر المسالمة مع مخالفه؛ لكنه يشترط على من يعيش مع المسلمين أن يدفعوا الجزية ويلتزموا بها، وألا يحملوا أسلحة أو يتعرضوا لمسلم بقتل أو إيذاء أو فتنة عن دينه أو من كان في عهد المسلمين، ومن باب أولى ألا يتعرضوا لله U أو دينه أو رسوله بسوء وألا يظهروا شعائر كفرهم في بلاد المسلمين ألبتة؛ ولذلك يصيرون آمنين كل الأمان على نفوسهم وأرواحهم وأعراضهم وأولادهم وعقيدتهم وأرضهم في ظل عدالة الإسلام.

### المطلب الثاني: موقف الإخوان المسلمين من فكرة حوار الأديان والرد عليهم:-

تعالّت أصوات الإخوان في الآونة الأخيرة بانخراطهم في الفكرة الضالة التي تدعو إلى حوار الأديان، وعلى رأس هذا الإفك العظيم المنظر الأكبر للإخوان في العصر الحديث يوسف القرضاوي.

يقول في بيان أهداف الحوار: (تنقية العلاقات من رواسب الروح العدائية التي خلفتها الصليبية قديماً، والاستعمارية حديثاً، وإشاعة معاني الإخاء والإنسانية والرحمة، وفتح صفحة جديدة لعلاقات أنقى وأصفى)<sup>(٢)</sup>.

وموضع الملاحظة والمؤاخذة هنا هو أن الطرف الإسلامي في الحوار مع الغرب والكنيسة في التاريخ المعاصر لم يتهياً لحوار جاد تستدعيه الدعوة بأصولها وثوابتها ومسالكتها في نشر رسالة الإسلام، وبقيت المؤسسات والمنظمات الإسلامية بمنأى عن هذا العمل الدعوي الإصلاحية اللازم، وما تولته إحداها منه جاء في صورة باهتة ضعيفة ألفت عليها السياسة بظلالها، ولم يتح لها الانطلاق من قاعدة قرآنية لها ثوابتها وقواطعها ومسلماها.

### وخلاصة القول هنا:-

هي أن الكنائس في الغرب وفي الشرق معنية ومهتمة الآن وملحة على مسألة الحوار مع الإسلام، وهذا الأمر يتوقف عليه نجاح أو إخفاق الجهد البشري في مهمة نشر الدين الحق، والإعلام برسالة الإسلام لكل العالمين، الحوار إذن مفروض وقائم على نحو ما سلف، شئنا أم أبينا، والمعاصر الجديد فيه هو أن صوره ونتائجه تلقى من الإعلان والانتشار ما لم تكن تلقى من قبل، بفضل ما استحدث الغرب من تقنيات علمية وإعلامية متطورة.

(١) مصنف عبد الرزاق (٦١/٦).

(٢) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ص (١٧٦).

ورسالة الإسلام مطلوب أن تنتشر بين الناس أجمعين من خلال وسائل دعوية علمية وإعلامية، ومسلك الحوار هو إحدى هذه الوسائل لتبليغ الدعوة بهدي وتوجيهات القرآن، لكن الحوار الديني في مفهومه القرآني والعلمي كذلك هو غلط آخر غير هذا الذي يجري الآن. الحوار يلزم أن ينطلق من قاعدة أو من كلمة سواء على حد التحديد القرآني، ولا يستقيم أمر الحوار الإسلامي مع اليهود أو مع الكنيسة أو مع أية منظومة دينية إلا إذا تحددت لهذا الحوار قاعدة، وقاعدته فيما نقدر هنا هي:

تحديد مبدئي لمفهوم الكفر ومفهوم الإيمان، ثم تحديد لجملة المصطلحات المستخدمة في حلقات الحوار دون إخفاء أو تمويه، ولعل من الحق القول بأن الحوار ليس بلازم أن يكون على هذا النحو المباشر دائما، فقد يتم الحوار مع الأديان في صورة حلقات دراسية متتابعة تنتشر في دوريات، وقد تستمر لعدة سنوات، وقد تكون في دراسات مستقلة، مع الإشارة إلى أن التقنيات الجديدة في شبكة المعلومات تتيح الآن فرصا مواتية لمثل هذا الحوار المطلوب مع كل الثقافات والأديان، بأصول إسلامية وقواعد علمية، وهذه التقنيات الحديثة تمكن الأطراف المعنية على المستوى المؤسسي وعلى المستوى الفردي كذلك من فتح أبواب الحوار المباشر أو غير المباشر من خلال تعدد المواقع، إن الرؤية المذهبية هنا في هذا المجال تسيء إلى الإسلام كثيرا أو تشوه صورته وتهمز قاعدته، ولا تقدم تصورا صحيحا عنه، وهذا الأمر هو المقصود بالإشارة هنا، فالحوار الإسلامي الإسلامي له لغة، أما الحوار الإسلامي مع الأطراف الأخرى فيلزم أن ينطلق من قاعدة واحدة لا خلاف عليها، وإلا فهو الخروج الصريح عن روح الإسلام والمخالفة لمقتضيات القرآن. والحوار جائز في الإسلام متى كانت المصلحة المتوقعة منه أعظم من المفسدة المترتبة عليه، ومتى ثبت أن نفعه أكثر من ضرره، وقد عني القرآن الكريم عناية بالغة بالحوار، وذلك أمر لا غرابة فيه أبدا، فالحوار هو الطريق الأمثل للاقتناع الذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض فرضا، وإنما ينبع من داخل الإنسان.

والعجيب من تناقضات هذه القضية أمران:-

الأمر الأول:- أن الداعين يزعمون الحاجة إلى هذا الحوار لتخفيف وطأة الحروب، بينما المتحاورون من هؤلاء الباباوات يزعمون أنهم لا يسمح لهم بالتدخل بالسياسة! ثم هذه الحروب التي طم الغرب علينا دمارها نحن المسلمين، كلها أصلا من سياسة الغرب.

فلعمري، ما فائدة حوارنا مع هؤلاء الباباوات إذا؟!!

والأعجب من هذا، أن هذه الجيوش الغربية عندما تحتل بلادنا، تأتي حملات التنصير مع الغزاة، فهؤلاء يقتلون، وهؤلاء يشربون من دمائنا، ثم يقولون لنا: إنه حوار الأديان.

والأمر الثاني:- أن أمريكا، والكيان الصهيوني وهما الراعيان الخبيثان لهذه الدعوة المشبوهة نراهما يقاطعان أي مؤتمر يخشى فيه التطرق لعنصرية اليهود، وإجرامهم، كما أعلن مؤخرا عن مقاطعة أمريكا والصهاينة، مؤتمر ديربان في جنوب أفريقيا أول عام ٢٠٠٩ م!.

فهنا لا يقبلان الحوار، كما لا يقبل الصهاينة بحوار عن خرافة الهولوكست! بينما نطالب نحن بفتح بلادنا لمؤتمرات ظاهرها حوار ثقافي، وحقيقتها قبول إهانة مذلة من جهات دينية تشتمنا، وتعلن في تشويه ديننا، وتحتل دولها بلادنا، وتقتل أبناءنا، وتنهب ثرواتنا بتحريض ودعم لا محدود من الذين يحضرون تلك المؤتمرات المشبوهة، من قساوسة، وحاخامات، أو من بعضهم!

هذا، وإن أمر هذه المؤتمرات لم يعد يخفى على أحد، فهو كما قال أحد المفكرين: (تخفي وراء مظاهر التسامح والرحابة الفكرية البراقة، دعوة عنصرية لفرض ثقافات، وقيم، وتوجهات الغرب على الثقافات الأخرى، وبالذات على الإسلام بوصفه ديناً، وعقيدة، وثقافة، فإن دعوة التعددية تسوي بين جميع الأطراف الداخلة فيها، فلا يصبح هناك حق أو باطل، أو جيد أو رديء، بل الكل سواء طالما أنه دخل في سياق التعددية، واخصله النهائية مرة أخرى هي علمنة الإسلام، أي نزع القداسة والمنزلة الإلهية عنه)<sup>(١)</sup>.

فهي دعوات هدفها التمهيد لهذا كله، ولفتح الطريق أمام مشاريع التنصير، الذي يمر عبر ما يسمى التوفيق بين الأديان، أو الدعوة إلى وحدة الأديان، وهذه الدعوة هي أخطر ما يراد من شعار حوار الأديان.

وهي دعوة تنشط وراءها الحركة الصهيونية، وما يدور في فلكها من الدوائر الماسونية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) مجلة البيان الأعداد (١٠٠ - ١٣٤).

(٢) الماسونية أو البناؤون معناها الحرفي هي (البناؤون) وفي الإنجليزية سموها *Freemasons* أي (البناؤون الأحرار)، وهي عبارة عن منظمة أخوية عالمية يتشارك أفرادها عقائد وأفكار واحدة فيما يخص الأخلاق الميتافيزيقية وتفسير الكون والحياة والإيمان بخالق إلهي. تتصف هذه المنظمة بالسرية والغموض وبالذات في شعائرها في بدايات تأسيسها مما جعلها محط كثير من الأخبار، لذلك يتهم البعض الماسونية بأنها (من محاربي الفكر الديني) و(ناشري الفكر العلماني).

في عام ١٧٢٣ كتب جيمس أندرسون (١٦٧٩ - ١٧٣٩) دستور الماسونية، وكان أندرسون ماسونياً بدأ حياته كناشط في كنيسة إسكتلندا وقام بنجاحين فرانكلين بعد ١١ سنة باعادة طبع الدستور في عام ١٧٣٤ بعد انتخاب فرانكلين زعيماً لمنظمة الماسونية في فرع بنسلفانيا. وكان فرانكلين يمثل تياراً جديداً في الماسونية وهذا التيار أضاف عدداً من الطقوس الجديدة لمراسيم الانتماء للحركة وأضاف مرتبة ثالثة وهي مرتبة الخبير *Master Mason* للمرتبتين القديمتين، المبتدئ وأهل الصنعة، ومن الجدير بالذكر أن النسخة الأصلية للدستور الماسوني الذي كتبه أندرسون عام ١٧٢٣ وأعاد طبعه فرانكلين عام ١٧٣٤ كانت عبارة عن ٤٠ صفحة من تاريخ الماسونية من عهد آدم، نوح، إبراهيم، موسى، سليمان، نبوخذ نصر، يوليوس قيصر، إلى الملك جيمس الأول من إنكلترا وكان في الدستور وصف تفصيلي لعجائب الدنيا السبع ويعتبرها إنجازات لعلم الهندسة وفي الدستور تعاليم وأمور تنظيمية للحركة وأيضاً يحتوي على ٥ أغاني يجب أن يغنيها الأعضاء عند عقد الاجتماعات. الدستور يشير إلى أن الماسونية بشكلها الغربي المعاصر هو امتداد للعهد القديم وأن اليهود الذين غادروا مصر مع موسى شيدوا أول مملكة

للماسونيين وأن موسى كان الخبير الماسوني الأعظم وهناك أقاويل أن المسيح الدجال هو القائد ولذلك يوجد رمز العين في كل شعاراته ويقال أيضا أنه هو السامري وهو يعتبر نفسه الفرقة الثالثة عشر الضائعة من الأسباط، والمنعطف الرئيسي الآخر في تاريخ الحركة كانت في عام ١٨٧٧ عندما بدأ المحفل الماسوني في فرنسا بقبول عضوية الملحدين والنساء إلى صفوف الحركة وأثار هذا الخلاف نوعا من الانشقاق بين محفلي بريطانيا وفرنسا . وكان هذا الخلاف مصدره تحليلا مختلفا من قبل الفرعين حول بند دستور الماسونية الذي كتب عام ١٧٢٣ والذي ينص (لا يمكن أن يكون الماسوني ملحدا أحقاً، في عام ١٨١٥ أضاف المحفل الرئيسي للماسونية في بريطانيا للدستور نصا يسمح للعضو باعتناق أي دين يراه مناسبا وفيه تفسير لخالق الكون الأعظم وبعد ٣٤ سنة قام الفرع الفرنسي بنفس التعديل وفي عام ١٨٧٧ تم إجراء تعديلات جذرية على دستور الماسونية المكتوب عام ١٧٢٣ وتم تغيير بعض من مراسيم الانتماء للحركة بحيث لا يتم التطرق إلى دين معين بحذاته وأن كل عضو حر في اعتناق ما يريد شرط أن يؤمن بفكرة وجود خالق أعظم للكون، لكي يصبح الفرد عضوا في منظمة الماسونية يجب عليه أن يقدم طلبا لمحفل فرعي في المنطقة التي يسكن فيها ويتم قبول الفرد أو رفضه في اقتراح بين أعضاء ذلك المحفل. يكون التصويت على ورقتين، ورقة باللون الأبيض في حال القبول واللون الأسود في حال الرفض ويختلف المقاييس من مقر إلى آخر ففي بعض المقرات صوت واحد رافض يعتبر كافيا لرفض عضوية الشخص. من متطلبات القبول في المنظمة هي التالي :

أن يكون رجلا حر الإرادة، وأن يؤمن بوجود خالق أعظم بغض النظر عن ديانة الشخص ولكن هناك محافلاً للمنظمة كالتى في السويد يقبل فقط الأعضاء الذين يؤمنون بالديانة المسيحية، وأن يكون قد بلغ ١٨ سنة من العمر وفي بعض المقرات ٢١ سنة من العمر، وأن يكون سليما من ناحية البدن والعقل والأخلاق وأن يكون ذو سمعة حسنة، وأن يكون حرا وليس مأمورا، وأن يتم تركيته من قبل شخصين ماسونيين على الأقل، وأن يكون حاملا للقب جامعي على الأقل، ويصر أعضاء منظمة الماسونية أن الماسونية ليست عبارة عن دين وليست بديلة للدين، والماسونية لا تعتبر نفسها ديانة أو معتقدا بديلا للدين، وتعتبر الماسونية نظرتها عن فكرة الخالق الأعظم مطابقة للأديان السماوية الموحدة الرئيسية حسب الفكر الماسوني يعتبر العضو حرا في اختيار العقيدة، الذي يراه مناسبا له للإيمان بفكرة الخالق الأعظم بغض النظر عن المسميات أو الدين الذي يؤمن به الفرد وقد تم قبول أعضاء حتى من خارج الديانات التي تعتبر ديانات توحيدية مثل البوذية والهندوسية.

ويصر الماسونيون أنهم لا يقبلون بعضوية أشخاص ارتدوا عن دين معين ولا تشجع الناس على إتباع دين معين، ولا يوجد في الماسونية مفهوم طريق النجاة أو الخلاص الموجودة في بعض الديانات، وينتقد البعض استعمال الماسونيين كلمة "Worshipful" عند مخاطبتهم ماسوني بحمل مرتبة الخبير وهذه الكلمة يمكن ترجمتها حرفيا إلى (المعبود) ولكن الماسونيين يؤكدون أن استعمال هذا اللقب يرجع أصوله إلى اللغة الإنجليزية القديمة والتي كانت تلك الكلمة تستعمل للاحترام وبمعنى "حضرتكم". هناك البعض ممن يتهمون الماسونية بأنها من محاريب الفكر الديني وناشري الفكر العلماني ولكن الدستور أو القوانين الأساسية للماسونية الذي تم طبعه عام ١٧٢٣ يقول نصا (إن الماسوني لا يمكن أبدا أن يكون ملحدا أحقاً إذا توصل لفهم الصنعة)، ويوجد في الدستور عبارة تقول بالتحديد (إنه لا يمكن قبول الملحد كعضو جديد وهذا الجدل تمت إثارته عام ١٨٧٧ في فرنسا عندما قام الفرع الفرنسي بمسح هذه العبارة في الدستور وبدأت بقبول الملحدين في صفوفها وتلاه بهذا المنحى الفرع السويسري وخلق هذا نوعا من الانقسام بين الفرع البريطاني والفرنسي ولكن وفي ١٣ نوفمبر ١٨٩٩ صرح أحد كبار الماسونيين في أريزونا في الولايات المتحدة إن العضو يمكن أن يؤمن بمفاهيم متعددة للخالق الأعظم ولا ضرر في مفهوم أن الخالق الأعظم عبارة عن فكرة أو مفهوم ذات مستوى عالي يكونه الإنسان لنفسه، و في إطار آخر أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بيانا جاء فيه:

وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كتب عنها من قديم وحديث، وما نشر من وثائقها فيما كتبه ونشره أعضاؤها، وبعض أقطابها من مؤلفات، ومن مقالات في المجالات التي تنطق باسمها، وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي:

١- أن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة، بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.

وهي دعوة شيطانية يقصد بها: وضع معان جديدة مناقضة لمعاني القرآن: للكفر، والإلحاد، والشرك، والإيمان، والإسلام، والاعتدال... إلخ، وذلك بحجة منع هذه الأسماء الشرعية، والأحكام المرعية من التفريق بين أصحاب الديانات؛ ولئلا يوصف اليهود، والنصارى، بما وصفهم الله به في القرآن، بل ليوصفوا بالإيمان فيؤدي ذلك إلى إزالة العداوة، فنسخ الجهاد!

٢- أنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء والإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب.

٣- أنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهتمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر، في أي بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أيا كان على أساس معاونته في الحق لا الباطل. وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية

٤- إن الدخول فيه يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة

٥- أن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة

٦- أنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية

٧- أنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية وصهيونية النشاط

٨- أنها في أهدافها الحقيقة السرية ضد الأديان جميعها لتهدمها بصورة عامة وتهدم الإسلام بصفة خاصة

٩- أنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم، ولا يهتمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك ولرؤساء وكبار موظفي الدولة ونحوهم

١٠- أنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الروتاري والليونز. إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية، في عام ١٩٧٩ أصدرت جامعة الدول العربية القرار رقم ٢٣٠٩ والتي نصت على (اعتبار الحركة الماسونية حركة صهيونية، لأنها تعمل بإيحاء منها لتدعيم أباطيل الصهيونية وأهدافها، كما أنها تساعد على تدفق الأموال على إسرائيل من أعضائها الأمر الذي يدعم اقتصادها ومجهداتها الحربي ضد الدول العربية) حسب بيان الجامعة. وفي ٢٨ نوفمبر ١٩٨٤ أصدر الأزهر فتوى كان نصه (أن المسلم لا يمكن أن يكون ماسونياً لأن ارتباطه بالماسونية انسلاخ تدريجي عن شعائر دينه ينتهي بصاحبه إلى الارتداد التام عن دين الله).

ينظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع الجهمي - دار الندوة الطبعة الخامسة ٢٠٠٣م - ص ٥١٠

ص ٥١٧

وينظر : المواقع الآتية

<http://www.saintsalive.com/freemasonry/eightprob.htm>

<http://www.glyphils.org/>

<http://www.mastermason.com/jjcrowder/threedegrees>

<http://www.grandelogenationalefrancaise.com/>

<http://www.grandlodge-england.org/>

<http://www.grandlodge.co.za/>

ومع خطورة هذه الدعوة ومساسها بثوابت هذا الدين وأصوله، فقد هب قلة من الدعاة والعلماء أمثال الشيخ بكر أبي زيد رحمه الله لكشف حقيقة هذه الدعوة في هذه الأيام في رسالته القيمة (الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان).

ولا شك أن الأحرار والرهبان والحاخامات وغيرهم يعلمون كل العلم ويقطعون كل القطع بأن دين الله الحق واحد، وليس عدة أديان قال الله U (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)) (١)، وقال الله U (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)) (٢)، وقال الله U (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)) (٣)، وقال الله U (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)) (٤)، وقال الله U (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)) (٥)، وقال الله U (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)) (٦).

فهل بعد هذا البيان من بيان في أن دين الله الحق واحد وهو الإسلام وليس عدة أديان، وهل يجوز للمسلم وهو يقرأ ويسمع هذه الآيات البينات المحكمات أن يقبل فكرة التقارب بين الأديان أو التهاور معها على أساس الندية والاعتراف بها؟! ليس هناك شيء اسمه الأديان السماوية أو الإبراهيمية؛ لأن دين الأنبياء جميعا واحد هو الإسلام.

فأين هذا من الدعوة الباطلة التي تطرح اليوم بقبول دين اليهود والنصارى أو عدم التعرض له بالنقد والتضليل والبراءة بل والتقارب معه بحجة محاربة الإلحاد وفي نشر السلام والتسامح والعدل! وسبحان الله العظيم كيف يقترب فضلا عن أن يتحد شيئان متضادان.

فيا جماعة الإخوان كفوا عن دعوتكم الخبيثة في حوار الأديان، وقد رأيتم أنها تصطدم مع العقيدة الخالصة، وأنها بعيدة عن الهدى والسمت النبوي مع حواراته مع الكفار.

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

(٣) سورة آل عمران: ٢٠.

(٤) سورة آل عمران: ٦٤.

(٥) سورة العنكبوت الآية ٦٤.

(٦) سورة الأنعام الآية ١١٥.

### المطلب الثالث: موقف الإخوان من الدعوة إلى التقارب مع الأديان، والرد عليهم:-

ومن المنكرات التي نجد للإخوان مشاركة فيها مسألة التقارب بين الأديان، لأن البناء التركيبي للجماعة منذ النشأة قائم على الكثرة العددية دون تمييز بين مسلم ومسيحي، وصوفي وأشعري، ومن كان هذا دأبه فإنه ينتظر منه أكثر من ذلك، قال الله ﷻ ( وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) ))<sup>(١)</sup>.

(التقارب بين الأديان) لا يحمل مدلولاً اصطلاحياً محدداً، فلفظ (التقارب) أو (التقريب) مأخوذ من القرب، وهو أمر نسبي يتفاوت في حقيقته وتطبيقاته، فقد يقتصر على حد أدنى من المجاملات الشكلية، وقد يبالغ فيه إلى درجة الاندماج الكامل والوحدة التامة، وبين هاذين مراتب متعددة، وكلها داخلية في عموم اسم التقارب<sup>(٢)</sup>، وهذا المفهوم أوسع نوع من أنواع الحوار بين الأديان، ولعله أشهر مفهوم له والذي تعقد له المؤتمرات المتعددة.

احتفل الإخوان المسلمون بمرور عشرين عاماً على إنشاء الجماعة في ١٩٤٨/٩/٥م فخطب حسن البنا قائلاً: (وليست حركة الإخوان موجهة ضد أي عقيدة من العقائد أو دين من الأديان أو طائفة من الطوائف؛ إذ إن الشعور الذي يهيمن على نفوس القائمين بها أن القواعد الأساسية للرسالات جميعاً قد أصبحت مهددة الآن بالإلحادية وعلى الرجال المؤمنين بهذه الأديان أن يتكاتفوا ويوجهوا جهودهم إلى إنقاذ الإنسانية من الخطر ولا يكره الإخوان المسلمون الأجانب النزلاء في البلاد العربية والإسلامية ولا يضمرون لهم سوءاً، حتى اليهود المواطنين لم يكن بيننا وبينهم إلا العلائق الطيبة)<sup>(٣)</sup>.

وقبلها في عام ١٩٤٦م خطب أمام لجنة أمريكية بريطانية بشأن قضية فلسطين فقال: (النقطة التي سأحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية؛ لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي؛ ولذلك فإني أحب أن أوضحها باختصار فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حض على مصافقتهم ومصادقتهم والإسلام شريعة إنسانية قبل أن تكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقاً)<sup>(٤)</sup>، قال الله ﷻ (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) ))<sup>(٥)</sup>، وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة

(١) سورة يوسف الآية ١٠٣.

(٢) ينظر: دعوة التقريب بين الأديان (٣٣٥/١)، والحوار الإسلامي المسيحي ص (٤٤-١٣-٤٣).

(٣) في قافلة الإخوان للسياسي (٢١).

(٤) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (١/٤٠٩)، حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية العباس السبسي (٤٨٨).

(٥) سورة العنكبوت الآية: ٤٦.

اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية فقال الله U (فَبُظِّلِمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُفُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)) (١)، ونحن حين نعارض بكل قوة الهجرة اليهودية نعارضها لأنها تنطوي على خطر سياسي وحقنا أن تكون فلسطين عربية. قال العلامة ابن باز (٢) (رحمه الله):

لما سئل عما صدر من هؤلاء بقوله: (هذه مقالة باطلة خبيثة) (اليهود من أعدى الناس للمؤمنين وهم من أشد الناس، بل هم أشد الناس عداوة للمؤمنين مع الكفار قال الله U (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (٣)، وهذه المقالة مقالة خاطئة ظالمة قبيحة منكرة) (٤).

وقال العلامة ابن باز أيضا: عندما سئل هل يكفر من يدخل كنائس النصارى ويحترمهم ويقول لهم: يا سماحة البابا، أو يقول لحاخامات اليهود يا صاحب السيادة، ويقول: إنه ليس بيننا وبين اليهود أية عداوة دينية بل القرآن حث على مصافقتهم أنبتونا عن ذلك جزاكم الله خيرا.

فأجاب: (هذا جهل كبير فلا يجوز هذا الكلام؛ لكنه ليس ردة عن الإسلام عندما يسلم عليه أو يدخل عليه إنما معصية، وأما إذا قال ليس بين الإسلام وبين اليهود شيء فهذا كفر وردة والله U يقول (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (٨٢))، فبيننا وبينهم عداوة عظيمة فمن يقول إن الدين واحد ولا بيننا وبينهم عداوة فهذا جاهل مركب وضال مضل كافر فالذي بيننا وبينهم العداوة، واليهود من أكفر الناس وأضلهم وأخبثهم وأشدهم عداوة للمسلمين) (٥).

قال العلامة الفوزان (حفظه الله): (هذا الكلام فيه خلط وتضليل، اليهود كفار قد كفرهم الله تعالى ولعنهم قال الله U (لَعْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (٦).

(١) سورة النساء الآيتان: ١٦٠، ١٦١.

(٢) ينظر: حقيقة الإخوان المسلمين وإن شئت فقل الإخوان المغلسين، ص (٩).

(٣) سورة المائدة الآية: ٨٢.

(٤) دعوة الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام، ص (١٥٧).

(٥) مجلة الدعوة العدد (١٤٠٢) بتاريخ ٧/صفر/١٤١٤هـ.

(٦) سورة المائدة الآية: ٧٨.



فعداوتنا لهم دينية ولا يجوز لنا مصادقتهم ولا محبتهم لأن القرآن نهانا عن ذلك، وقال رسول الله ﷺ "لعنة الله على اليهود والنصارى..."<sup>(١)</sup> (٢).

إذا تبين فيما سبق أن فكرة الوحدة أو التقارب بين الإسلام والكفر مستحيلة عقلا وشرعا، وإن وجد من يقبلها، فإما أن يكون جاهلا لا يدري ما معنى التوحيد ولا ما هو الشرك أو يكون عالما بذلك لكنه ماكر مغرض يريد هدم الإسلام ونشر الكفر، ألا، فليكيف الإخوان عن المشاركة في هذه الدعوة الآثمة، وليتوبوا إلى الله منها، وإنما الدين عند الله واحد ألا وهو الإسلام.

#### المطلب الرابع: موالاة الإخوان لليهود والنصارى والرد عليهم في ذلك:-

قال جابر رزق: في كتابه (حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه)<sup>(٣)</sup>: (إن البنا عندما تقدم مرشحا لانتخابات البرلمان كان وكيله الذي يمثل في مقر إحدى اللجان الانتخابية رجلا قبطيا)<sup>(٤)</sup>. قال عبد الفتاح العويس<sup>(٥)</sup>: في كتاب (تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية): (ولكي يدلل الإخوان المسلمون على عدم تعصبهم أشركوا معهم في عضوية اللجنة السياسية التابعة للإخوان المسلمين والتي أنشئت عام ١٩٤٨م اثنين من النصارى هم: وهيب دوس وأخنوخ لويس أخنوخ)<sup>(٦)</sup>.

قال محمد حامد أبو النصر المرشد العام: في كتاب (حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر): (دعا أعضاء مكتب الإرشاد الذي قرر تشكيل لجنة سياسية عليا برئاسة وكيل الجماعة وعضوية سكرتير الجماعة وعضو من أعضاء مكتب الإرشاد وثلاثة من كبار الأقباط)<sup>(٧)</sup>. وقال مصطفى السباعي: المراقب العام للإخوان المسلمين بسوريا في بيان له بمناسبة معركة الدستور عام ١٩١٥م: (والإسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحي، فيها- أي الحقوق المدنية والواجبات- ولا يعطي للمسلم في الدولة حقا أكثر من المسيحي، والدستور سينص على تساوي المواطنين جميعا في الحقوق والواجبات، وإني سأضع أمام القراء وأمام أبناء الشعب جميعا نص المادة المقترحة في هذا الشأن ليروا بعد ذلك أي خوف منها وأي غبن يلحق المسيحية فيها: الإسلام دين الدولة.

الأديان السماوية محترمة ومقدسة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٧/٧) كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٤٢).

(٢) الأجابة المفيدة، للفوزان، جمع الحارثي، ص (٣٨-٤٠)، والبيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (١٩، ٢٠).

(٣) ص (١٨٥).

(٤) ينظر: حقيقة الإخوان المسلمين وإن شئت الإخوان المفلسين ص (٨).

(٥) ص (٢٣).

(٦) ينظر: تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية ص (٢٣).

(٧) ص (٣٣).

الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصنونة ومرعية.

المواطنون متساوون في الحقوق لا يحال بين مواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة<sup>(١)</sup>.

فلا يستنكر بعد هذا الضلال عداوة الإخوان المسلمين لدعاة التوحيد الذي انتهجوا سبيل السلف الصالح، فدعاة التوحيد يعلنون البراءة من أهل الزيغ والضلال وكل ما يمس العقيدة، وينكرون على المخالف، ولا تأخذهم في الله لومة لائم؛ لأن همهم الأكبر كسب رضا الله وليس كسب القلوب والجموع، ومراعاة المشاعر على حساب الصدع بكلمة الحق، وهل كان عداء قريش للنبي ﷺ إلا من أجل أنه سفه أحلامهم وأبطل دينهم بل إنه ﷺ حتى مع أصحابه ﷺ كان ينكر عليهم أمام الملائكة لا تأخذه في الله لومة لائم، والشواهد على ذلك كثيرة وقصة المسيء صلاته أكبر شاهد على ذلك؛ قال له أمام الملائكة: "ارجع فصل فإنك لم تصل"<sup>(٢)</sup>، فليس هنالك من خطأ قد يقع فيه أحدنا ويكون إنكاره على مشهد من الناس أثقل على القلب من أن يقال لأحدنا: أنت لا تعرف كيف تصلي، فأين الدليل على ما يدندن حوله كثير من هؤلاء؛ أن الإنكار على الملائكة لا يصح، وليس عندهم حجة يحتجون بها إلا بعض الأشعار، اللهم إلا أن يقولوا إن النبي ﷺ كان يقول: (ما بال أقوام)<sup>(٣)</sup>، وهذه حجة الجاهل بالسنة؛ لأن النبي ﷺ ما كان يقول ذلك إلا إذا بلغ عن منكر فلم ير ولم يسمع.

أما إذا رأى أو سمع فإنه يبادر إلى الإنكار ولا تأخذه في الله لومة لائم، وقد علمنا أن ذلك من النصيحة للمسلمين ومن حراسة الدين.

العجيب وهو ليس عجيباً من هؤلاء القوم أنهم يتوددون لأهل الأهواء والبدع، وينفرون من أهل الحديث وأتباع الأثر، ورحم الله أبا حاتم الرازي إذ قال: (علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر)<sup>(٤)</sup>.

فاليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، اغتصبوا فلسطين، واعتدوا على حرمة المسلمين

(١) ينظر (مصطفى السباعي رجل فكر وقائد دعوة) لعبد العزيز الحاج مصطفى ص (٩٨:٩٣)، دار عمار للنشر والتوزيع.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧/٢)، كتاب الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم (٧٥٧)، وفي (٢٧٦/٢، ٢٧٧)، باب: أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة (٧٩٣)، وفي (٣٦/١١)، كتاب الاستئذان، باب: من رد فقال: عليك السلام (٦٢٥١)، وفي (٥٤٩/١١) كتاب الأيمان والنذور، باب: إذا حنت ناسيا في الأيمان (٦٦٦٧)، ومس لم (٢٩٨/١)، كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٤٥، ٣٩٧/٤٦).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٨٤/٥) كتاب السير: باب النهي عن قتل ذراري المشركين (٨٦١٦) والدارمي (٢٢٣/٢) كتاب الجهاد: باب النهي عن قتل النساء والصبيان وأحمد (٤٣٥/٣) وابن حبان (١٦٥٨ موارد) وأبو عبيد في الأموال، ص (٤١) رقم (٩٧) والحاكم (١٢٣/٢) والبيهقي (٧٧/٩).

(٤) ينظر: اعتقاد أهل السنة (١٧٩/١).

فيها، وشردوا أهلها، ودنسوا مقدساتها، ولن يقر لهم قرار حتى يقضوا على دين المسلمين، وينهوا وجودهم، ويتسلطوا عليهم في كل مكان، فعداوتنا عداوة دينية لا ما يقرره الإخوان في إفكهم.

### المطلب الخامس: وجود النصارى في صفوف الإخوان المسلمين:-

شارك النصارى الإخوان المسلمين في جماعتهم، إذ إن البنا قد اختار أعضاء منهم بغية التقرب إليهم والتزلق إلى الحكام، وسعيا إلى زيادة عدد الإخوان لا فرق في ذلك بين المسلمين والمسيحيين.

وبهذا يظهر أن تجميع الناس لدى الإخوان المسلمين كان على حساب العقيدة والمنهج؛ فهم يريدون الإسلام بأي اسم كان، وبأي اسم خرج.

قال محمود محمد الصواف: في (صفحات من دفتر ذكرياتي) (والتقينا في مصر مع البنا - رحمه الله - وسألناه في الأمر، فقال لنا: سيروا مع الشيخ الصواف، فهذا هو الصحيح؛ لأننا لا نهمنا الأسماء، إنما نهمنا الدعوة الإسلامية، ويهمنا الإسلام بأي اسم كان، وبأي ثوب خرج)<sup>(١)</sup>. ومن المعلوم أن التجمع على مجرد مبادئ عامة وأفكار غامضة ليس هو الطريقة الفضلى، بل من الواجب أن يسبق التجمع الصحيح اتفاق على أفكار واضحة وفهم كامل شامل للإسلام الذي نعمل على عودته إلى مركز السيادة والقيادة والتوجيه.

ودونك - أخي في الله - شهادة من عصرنا الحاضر، نطق بها من عايشها واكتوى بنارها. قال محمد قطب: (وأخذت الدعوة مداها في حياة حسن البنا، وانضم إليها مئات الألوف من الناس، كانوا نماذج شتى، واتجاهات متعددة)<sup>(٢)</sup>.

وقد جهل هؤلاء الآيات التي تدل على عداوة أهل الكتاب من النصارى واليهود للإسلام، وأنهم يرون الإسلام عدوهم الأوحى، لأنه يثبت كفرهم وضلالهم وانحرافهم فقال الله ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ))<sup>(٣)</sup>، وقال الله U (وَقَالَتِ الْيَهُودُ غُزِيرَ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ)<sup>(٤)</sup>، وقال الله U (وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا

(١) جريدة المسلمون (العدد ٣٦، السبت ٢٨ المحرم - ٤ صفر ١٤٠٦ هـ الموافق ١٢ - ١٨ أكتوبر ١٩٥٨م، ص (١٠) عمود ١.

(٢) واقعنا المعاصر، ص (٤٠٥ - ٤٠٩).

(٣) سورة المائدة: ٧٣.

(٤) سورة التوبة: ٣٠.

مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا<sup>(١)</sup>.

وقال الله U (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ((١٠٩))<sup>(٢)</sup>.

وقال الله U (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ((١٩))<sup>(٣)</sup>.

وقال الله U (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)<sup>(٤)</sup>.

وقال الله U (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِیَّتَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)<sup>(٥)</sup>.

ومن خلال هذه الآيات يتبين لنا أن النصارى واليهود ينتظرون الفرص بين الفينة والفينة للنيل من الإسلام وأهله، وبذلك لا يصح معهم مهادنة أو مقاربة، فشتان بين الكفر والإيمان، والآيات تؤكد كفرهم، فليرجع الناس إلى رشدكم وإيمانكم.

قال ابن القيم (رحمه الله): حاكيا عن عقيدة النصارى: (أن رب العالمين نزل عن كرسي عظيمته فالتحم ببطن أنثى، وأقام هناك مدة من الزمان بين دم الطمث في ظلمات الأحشاء تحت ملتقى الأعكان، ثم خرج صبيًا رضيعًا يشب شيئًا فشيئًا ويأكل ويشرب ويبول وينام ويتقلب مع الصبيان، ثم أودع في المكتب بين صبيان اليهود يتعلم ما ينبغي للإنسان، هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان، ثم جعل اليهود يطرّدونه ويشردونه من مكان إلى مكان، ثم قبضوا عليه وأحلوه أصناف الذل والهوان، فعلقوه على رأسه من الشوك تاجًا من أقبح التيجان، وأركبوه قسبة ليس لها لجام ولا عنان، ثم ساقوه إلى خشبة الصلب مصفوعًا مبصوقًا في وجهه وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الأيمان، ثم أركبوه ذلك المركب الذي تقشعر منه القلوب مع الأبدان، ثم شددت بالحبال يده مع الرجلان، ثم خالطهما تلك المسامير التي تكسر العظام وتمزق اللحمان وهو يستغيث: يا قوم ارحموني فلا يرحمه منهم إنسان هذا وهو مدبر العالم العلوي والسفلي الذي يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن، ثم مات ودفن في التراب

(١) سورة النساء: ٨٩.

(٢) سورة البقرة: ١٠٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٩.

(٤) سورة آل عمران: ٨٥.

(٥) سورة البقرة الآية: ١٢٠.

تحت صم الجنادل والصوان، ثم قام من القبر وصعد إلى عرشه وملكه بعد أن كان ما كان<sup>(١)</sup>.

إن من المؤسف حقا أن يقرب الإخوان المسلمون النصارى بين أفراد المسلمين، وهذا من فعل الهوى بهم، فأضلهم وأعمى أبصارهم.

#### المطلب السادس: تصوير الإخوان للصراع مع اليهود والرد عليهم:-

قال محمود عبد الحليم: في كتابه (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ):

تحت عنوان (في قضية فلسطين) متحدثا عن لجنة أمريكية بريطانية مشتركة من أجل قضية فلسطين، وقد حضر حسن البنا اجتماعا لها في مصر، وألقى كلمة قال فيها: (والناحية التي سأحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية؛ لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي، ولهذا؛ فإني أحب أن أوضحها باختصار: فأقرر إن خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن تكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقا، قال الله U (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦))<sup>(٢)</sup>، وحينما أراد القرآن أن يتناول مسألة اليهود؛ تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية، فقال الله U (فَبُظْلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠))<sup>(٣)</sup>.

قال القرضاوي هداه الله: (جهادنا مع اليهود ليس لأنهم يهود، بعض الإخوان الذي يكتبون في هذه القضية ويتحدثون عنها يعتبرون: أننا نقاتل اليهود؛ لأنهم يهود، ولا نرى هذا، فنحن لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة؛ إنما نقاتلهم من أجل الأرض، ولا نقاتل الكفار؛ لأنهم كفار، وإنما نقاتلهم؛ لأنهم اغتصبوا أرضنا وديارنا وأخذوها بغير حق)<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضا: مبيناً أسباب قتال اليهود: (والواقع أن المعركة بدأت بيننا وبين اليهود بسبب واحد لا شريك له، وهو: أنهم اغتصبوا أرضنا - أرض الإسلام: أرض فلسطين - وشردوا أهلنا، أهل الدار الأصليين، وفرضوا وجودهم الدخيل بالحديد والنار، والعنف والدم.. تكلم السيف فأسكت أيها القلم! وستظل المعركة قائمة بيننا ما دامت الأسباب قائمة..<sup>(٥)</sup>).

(١) ينظر: هداية الحيارى، ص (٤).

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

(٣) سورة النساء الآية ١٦٠.

(٤) مجلة الراية (٤٦٩٦ بتاريخ ٢٤ شعبان ١٤١٥هـ - يناير ١٩٩٥م).

(٥) السابق، ص (٤١، ٤٢).

هذه الخرافات طامة كبرى، فعداوة اليهود، ومن على شاكلتهم للإسلام والمسلمين، قائمة منذ فجر التاريخ، فقد عادوا رسالات الله التي جاءت كلها بالإسلام، وتآمروا على رسل الله الذين حملوا إليهم هذه الرسالات، وقتلوا الأنبياء الداعين للإسلام، وعبدوا العجل وغيره من الأصنام، وآمنوا بالجبّ والطاغوت، واتبعوا ما تتلوا الشياطين، وحرفوا كتاب الله U وبدلوه، وكتبوه بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا، وكفروا بأنعم الله U الظاهرة والباطنة، وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، وعصوا أوامر الله U واعتدوا على حدوده وحرماته، وظل حالهم كذلك حتى بعث الله U خاتم النبيين والمرسلين محمداً ﷺ فازدادت عداوتهم وأفصحوا عن حقدهم، فكانوا أول كافر به، ولم يكتفوا بكفرهم، بل شنوا على المؤمنين به حملات العداء والتشهير، ووضعوا أيديهم في أيدي المشركين والنصارى لمهاجمة الإسلام ورسوله وكتابه وكل من آمن به، وصدق الله إذ قال: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيّينَ وَرَهْبَانًا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (١).

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تشير إلى ما قام به اليهود والنصارى ضد الإسلام ورسوله وأصحابه، من كفرهم به، وصد الناس عن الإيمان به، ومحاولات تشويهه والنبيل منه، وشن الحروب على أهله، ونقض العهود معهم، وتدبير المؤامرات ضدهم، وخيانة الأمانات؛ قال الله U (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)) (٢)، وقال الله U (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)) (٣).

وقال الله U : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢)) (٤).

وقال الله U (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)) (٥).

قال الله U (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٦)

(١) سورة المائدة الآية: ٨٢.

(٢) سورة البقرة الآية: ١١.

(٣) سورة البقرة الآية: ٨٩.

(٤) سورة النساء الآيتان: ٥١، ٥٢.

(٥) سورة آل عمران الآية: ٩٩.

(٦) سورة آل عمران الآية: ٧١.

إن كلام البنا وحركته وأتباعه يهدم ولا يبني؛ يهدم عشرات الآيات الدالة دلالة قطعية على أن عداوة اليهود دينية منها:

قول الله U ( وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١) )<sup>(١)</sup>.  
وقول الله U ( لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) )<sup>(٢)</sup>.

وقول الله U ( وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِئَاتِ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ )<sup>(٣)</sup>.  
وقول الله U ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ )<sup>(٤)</sup>.

إن اليهود من أعدى الناس للمؤمنين، وهم شر الخلق، وما وقعت فيه البشرية من انحرافات وانحلال أخلاقي وهدم لمجتمعاتهم، وتفسخ عرى كل الروابط الاجتماعية والاقتصادية والأسرية وغيرها، فاليهود لهم يد فيها من قريب أو من بعيد، بل هم السبب في فساد الشعوب ونشوب الحروب وتضليل الأفكار والدروب.

### المطلب السابع: قول الإخوان بسقوط الجزية عن أهل الذمة

#### مقابل التجنيد والرد عليه:-

أفتى القرضاوي بإعفاء النصارى من الجزية مقابل تجنيدهم في جيش الدولة الإسلامية.  
وعلق الشيخ ربيع في كتابه (العواصم) على كلام القرضاوي: فقال (رحمه الله): (فمن يفهم كتاب الله ويعلم معاملة رسول الله للمشركين فسيجد أن هذا المجتهد قد أخطأ دون شك؛ لأن الله لم يفرض على أهل الكتاب إلا الجزية لإذلالهم وإصغارهم لأنهم أعداؤه وقد رفضوا دينه الحق، وسيجد أن رسول الله لم يأخذ منهم إلا الجزية ولم يخيرهم بينها وبين الخدمة العسكرية عملاً بمقتضى الآية وهو المبين لمراد الله U، والصحابة والخلفاء وأئمة الإسلام لم يذكروا إلا الجزية وهي واحد من شروط كثيرة لإنزال أهل الذمة ووضعهم حيث وضعهم الله، وكتاب الله وسنة رسوله وأقوال علماء الإسلام لم يرد فيها جميعاً أن الجزية فرضت على أهل الكتاب مقابل الخدمة

(١) سورة النساء الآية: ١٠١.

(٢) سورة المائدة الآية: ٨٢.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٢٠.

(٤) سورة التوبة الآية: ٢٩.

العسكرية، فهذا لا يعرفه الإسلام ولا شرعه، وإنما تشرعه الأنظمة العلمانية انطلاقاً من قواعدها الديمقراطية والوطنية<sup>(١)</sup>.

هذا هو نفس تقرير سيد قطب في كتابه (نحو مجتمع إسلامي)<sup>(٢)</sup>.

وهذا الكلام نقله سيد قطب عن النصرائي سيرت وأرنولد.

وقال الشيخ ربيع: في كتابه (العواصم): (ويفرح بهذا القول الضال، وفي نفس الوقت لا يأنف من ضرب الجزية على المسلمين)<sup>(٣)</sup>.

وقال حفظه الله: (وينقل هذه المهزلة عن نصرائي أفك ويطير بها فرحاً يرد بها على المغرضين كما يدعي).

وقال أيضاً: (فطار سيد قطب فرحاً بهذا الإفك والتحريف المتعمد من هذا النصرائي واتخذ منه برهاناً قاطعاً على أن صفة الجزية على النحو الذي يقرره)<sup>(٤)</sup>.

وعلى كل هذا؛ فالمقصود بعقد الجزية تقوية الإسلام وإعزازه، وإضعاف الكفر وإذلاله؛ ليكون الإسلام أعلى والكفر أخفض<sup>(٥)</sup>.

جدير بالذكر أن لفظ الجزية قد أطلق في عهد النبي ٣ وأبي بكر، وصدر من خلافة عمر على المال الذي يكلف أهل الذمة أن يؤدوه للحكومة الإسلامية، سواء أكان ضريبة على الأشخاص أم على الأرض الزراعية المملوكة لهم؛ فلما اتسعت الفتوحات في مملكة فارس والروم؛ دلت الكلمة على الضريبة المفروضة على الرؤوس وحدها، أما ضريبة الأرض فقد عبر عنها بلفظ الخراج.

على أن المؤرخين كثيراً ما أطلقوا لفظ الخراج على الضريبة المفروضة على الأشخاص وعلى الأرض معاً، باعتباره المال المحصل من الإقليم، وباعتباره من موارد الإقليم<sup>(٦)</sup>.

قال ابن القيم (رحمه الله): (أما سبب وضع الجزية فهو قول الله ﷻ ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) )<sup>(٧)</sup> (٨).

(١) ص (٩١، ٩٢).

(٢) ص (١٢٣).

(٣) ص (١٠٠).

(٤) ينظر: العواصم، ص (١٠٠ - ١٠٢)، والبيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (٧٩، ٨٠).

(٥) ينظر: الحاوي الكبير، للماوردي (٣١٦/١٤)، سبل السلام (٤٩٨/٢).

(٦) ينظر: معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام، د. إبراهيم سليمان عيسى، دار المنار، ١٤١٤ هـ، ص (١٢٩، ١٣٠).

(٧) سورة التوبة الآية ٢٩.

(٨) ينظر: أحكام أهل الذمة (٧٩/١).



المطلب الثامن: تهنة الإخوان للكفار بأعيادهم وتولية مناصبهم، والرد على ذلك:-

ومن الضلالات والانحرافات لدى الإخوان المسلمين أننا نجدهم يتسارعون في كل مناسبة دينية كفرية تخص أهل الكتاب والنصارى واليهود فيتوددون إليهم ويرسلون البرقيات والتهاني بألفاظ تصطدم مع العقيدة والشريعة وما قاله القرضاوي في المجرم البابا يوحنا ليس بعيدا عن أذهان الأمة، ومن تحريفاتهم القبيحة ما يلي:

قال القرضاوي: (يجوز تهنة الكفار بأعيادهم وتولييتهم المناصب والوزارات)<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ الفوزان حفظه الله: (أن من مظاهر موالاته الكفار: اتخاذهم بطانة ومستشارين قال الله ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) وذكر أدلة أخرى ثم قال ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين، وأسرارهم ويكيدون لهم بالحق الضرر بهم...) (٢) إلخ.

وقال أيضاً حفظه الله: (إن من مظاهر الموالاته للكفار: مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنتهم بمناسبةاتها أو حضور إقامتها، وقد فسر قول الله ﷻ (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)) (٣) أي ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار)<sup>(٤)</sup>.

وأفتت اللجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية<sup>(٥)</sup>: أنه (لا يجوز للمسلم تهنة النصارى بأعيادهم لأن في ذلك تعاوناً على الإثم)<sup>(٦)</sup>.

قال ابن القيم (رحمه الله): (وأما التهنة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشد مقتاً من التهنة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك وهو لا يدري قبح ما فعل. فمن هنا عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله

(١) ينظر: الصحوة الإسلامية، ص (١٥٦).

(٢) عضو هيئة كبار العلماء في رسالته (الولاء والبراء)، ص (١٠ - ١٢).

(٣) سورة الفرقان الآية: ٧٢.

(٤) رسالة الولاء والبراء، لصالح الفوزان، ص (١٣).

(٥) فتوى رقم (١١٦٨).

(٦) البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (٧٥).

وسخطه وقد كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون قهنة الظلمة بالولايات وقهنة الجهال بمنصب القضاء والتدريس والإفتاء تجبياً لمقت الله وسقوطهم من عينه<sup>(١)</sup>، وإنما كانت قهنة الكفار بأعيادهم الدينية حراماً وبهذه المثابة التي ذكرها ابن القيم لأن فيها إقراراً لما هم عليه من شعائر الكفر، ورضى به لهم وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه لكن يحرم على المسلم أن يرضى بشعائر الكفر أو يهنئ بها غيره لأن الله U لا يرضى بذلك كما قال ( إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) )<sup>(٢)</sup>، وقال الله U ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَسَّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ )<sup>(٣)</sup>، وتهنئتهم بذلك حرام سواء كانوا مشاركين للشخص في العمل أم لا، وإذا هئولنا بأعيادهم فإننا لا نجيبهم على ذلك؛ لأنها ليست بأعياد لنا ولأنها أعياد لا يرضاها الله U لأنها إما مبتدعة في دينهم وإما مشروعة؛ لكن نسخت بدين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ٣ إلى جميع الخلق، وقال فيه: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)<sup>(٤)</sup>.

وإجابة المسلم دعوتهم بهذه المناسبة حرام لأن هذا أعظم من تهنئتهم به لما في ذلك من مشاركتهم فيها ومن فعل شيئاً من ذلك فهو آثم سواء فعله مجاملة أو تودداً أو حياءاً أو غير ذلك من الأسباب لأنه من المداينة في دين الله ومن أسباب تقوية نفوس الكفار وفخرهم بدينهم<sup>(٥)</sup>. ويدل على تحريم شهود أعيادهم قول الله (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)<sup>(٦)</sup>، وقد نقل طائفة من المفسرين كما في الدر المنثور عن بعض التابعين مثل مجاهد والضحاك وعكرمة أن المقصود من ذلك أعياد المشركين.

وروى الأصبهاني بإسناده عن ابن سلام عن عمرو بن مرة قال: في قول الله U:

(١) أحكام أهل الذمة (١٤٤/١ - ٢٤٤).

(٢) سورة الزمر الآية: ٧.

(٣) سورة المائدة الآية: ٣.

(٤) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد السلطان (٥٤/٣ - ٦٤).

(٦) سورة الفرقان الآية: ٧٢.

(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) أي: لا يماكثون أهل الشرك على شركهم ولا يخالطونهم، وقد سئل أبو القاسم عن الركوب في السفن التي تركب فيها النصارى إلى أعيادهم، فكره ذلك مخافة نزول السخط عليهم بشركهم الذي اجتمعوا عليه وقد قال الله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١).

### المطلب التاسع: تقسيم يوسف القرضاوي للردة، والرد عليه:-

قسم القرضاوي الردة إلى نوعين مغلطة وهي المصاحبة للعنف ضد المجتمع فهذا يقتل صاحبها ومخففة وهي ما عدا ذلك فيترك صاحبها (٢).

لا أدري من أين أتى بهذه القسمة الضيقة أنها قسمة لم يأت بها كتاب أو سنة أو قول عالم مشهود له بالعلم من سلف هذه الأمة، وقد ورد النص على عقوبة المرتد دون التفرقة التي ما أنزل بها من سلطان بالكتاب والسنة.

### أولا الكتاب:-

قال الله U (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢١٧) (٣).

وقال الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٥٤) (٤).

وجه الدلالة من الآيات تشديد العقاب على المسلم إن بدل دينه بأي شكل من الأشكال مغلطة كانت أو مخففة، واعتبار هذا التصرف من أكبر الكبائر؛ لأنه تصرف يؤدي إلى هدم المجتمع بأسره واستهزاء بالله تعالى وآياته ورسوله، ولذلك استوجب العقاب في الدنيا إن لم يتب وكذلك في الآخرة مع أن عمله قد أحبطه الله تعالى (٥).

### ثانيا السنة:-

(١) سورة المائدة الآية ٥١.

(٢) ينظر: البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (٩٥).

(٣) سورة البقرة الآية: ٢١٧.

(٤) سورة المائدة الآية: ٥٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٤١/٣)، المغني مع الشرح الكبير لابن قدامة (٧٤/١٠)، وما بعدها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "من بدل دينه فاقتلوه" (١).  
وعن ابن مسعود t عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث:  
التيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة" (٢).  
وجه الدلالة من هذه الأحاديث: أنها تجرم الردة وتعاقب عليها بالقتل مخففة كانت أو مغلظة  
لأنها تدخل في عموم الأحاديث.

وهذا بالاتفاق في الرجل بين الفقهاء كما لا يجوز أن يقاس على الكفر الأصلي الكفر  
الطارئ حيث إنه لا يقتل الكافر ويقر الرجال والنساء على الكفر الأصلي ولا يقرون على  
الطارئ؛ لأن مضار الردة سواء بالنسبة للرجل والمرأة، وقد ثبت أن أبا بكر الصديق t قاتل  
المرتدين، وقتل منهم من قتل، وقد وافقه على ذلك كل الصحابة، وعاونوه في القتال فكان ذلك  
إجماعاً (٣)، وقد أجمع المسلمون على وجوب قتل المرتد ما لم يتب دون التفرقة بين مغلظة أو  
مخففة، وروي ذلك عن كثير من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي y قتل المرتد حدا  
ولم ينكر أحد عليهم فصار ذلك إجماعاً، وبه قال ابن عباس ومعاذ y (٤).

وعلى ذلك فلا يصح نفي عقوبة الردة بحجة أن القرآن الكريم لم يحدد للردة عقوبة دنيوية،  
وإنما توعده بعقوبات أخروية للمرتد، وفي هذا الشأن يستند الفقهاء لبيان حكم الردة وعقوبة  
المرتد إلى أحاديث الرسول ﷺ وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم.  
وكذا فعل الصحابة باعتبار أن عقوبة المرتد عقوبة مقدرة شرعاً لا مجال فيها للتخفيف، ولا يصح  
القول بأنها عقوبة تعزيرية حتى لو وصلت إلى حد الإعدام وعليه فالسنة النبوية واجبة الإلتزام (٥).

(١) أخرجه البخاري (١٤٩/٦) كتاب الجهاد: باب لا يعذب بعذاب الله حديث (٣٠١٧) وأبو داود (٥٢٠/٤) كتاب الحدود:  
باب الحكم فيمن ارتد حديث (٤٣٥١) والترمذي (٥٩/٤) كتاب الحدود: باب في المرتد حديث (١٤٥٨) والنسائي  
(١٠٤/٧) كتاب تحريم الدم باب الحكم في المرتد، وابن ماجه (٨٤٨/٢) كتاب الحدود: باب المرتد عن دينه حديث (٢٥٣٥)  
وأحمد (٢١٧/١)، وعبد الرزاق (١٦٨/١٠) رقم (١٨٧٠٦) وابن أبي شيبة (١٣٩/١٠) رقم (٩٠٤١) من حديث ابن  
عباس وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠١/١٢): كتاب الديات: باب قوله U: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ  
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)، حديث  
(٦٨٧٨)، ومسلم (١٣٠٢/٣): كتاب القسامة: باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦/٢٥)، والترمذي (١٤٠٢)، وأبو داود  
(٤٣٥٢) والنسائي (٩٢/٧) وابن ماجه (٢٥٣٤)، والدارمي (٢١٨/٢)، والدارقطني (٨٢/٣)، والبيهقي (١٩/٨)، وأحمد  
(٣٨٢/١)، (٤٢٨، ٤٤٤، ٤٦٥)، عن عبد الله ابن مسعود مرفوعاً.

(٣) شرح فتح القدير لابن الهمام (٣٨٨/٤)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير (٣٠٤/٤)، والمهذب للشيرازي  
(٢٢٠/٢)، وكشاف القناع للبهوتي (١٧٤/٦)، وفتح الباري (٤١٣/١٢).

(٤) البحر الرائق (١٣٥/٥)، والأم (٣٦٧/٨)، والمغني (١٦/٩)، ومطالب أولي النهى (٢٧٥/٦).

(٥) فصول في الردة دراسة فقهية مقارنة، د: مصباح المتولي حماد، بحث منشور بمجلة كلية الشريعة والقانون بالقاهرة العدد الثالث  
عشر سنة ١٤١٨هـ - سنة ١٩٩٧م، ص (٢٠١)، التشريع الجنائي الإسلامي، د: محمد نعيم فرحات، ص (١٨٧).